

إيمان أبي طالب (عليه السلام) وسيرته

تأليف: العلامة الشيخ
عبد الحسين الأميني النجفي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

أحسب أن القوم لم ينسجوا هذا الإفك [إسلام والدي أبي بكر] على نول الجهل بتراجم الرجال فحسب، ولا أن لهم مآرباً في آباء المهاجرين أسلموا أو لم يسلموا، أو أن لهم غاية في إسلام أبوي أبي بكر، لكنهم زمروا لما لم يزل لهم فيه مكاء وتصدية من تكفير سيد الأباطيح شيخ الأئمة أبي طالب والدمولانا أمير المؤمنين سلام الله عليهما، وذلك بعد أن عجزوا عن الوقعة في الولد فوجهوها إلى الوالد أو إلى الوالدين كما فعله الحافظ

الصفحة ٣

العاصمي في زين الفتى. وكن من تهويلهم في تخفيف تلكم الوطأة أن جروا ذلك إلى والدي النبي المعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعليهما حتى قال العاصمي في زين الفتى عند بيان وجه الشبه بين النبي والمرضى صلى الله عليهما وآلهما: أما تشبيه الأبوين في الحكم والتسمية، فإن النبي في كثرة ما أنعم الله تعالى عليه ووفور إحسانه إليه لم يرزقه إسلام أبويه، وعلى هذا جمهور المسلمين (1) إلا شذمة قليلين لا يلتفت إليهم، فكذلك المرضى فيما أكرمه الله به من الأخلاق والخصال وفنون النعم والأفعال لم يرزقه إسلام أبويه. انتهى.

فلم تفتأ لهم في ذلك جلبة ولغط مكابرين فيهما المعلوم من سيرة شيخ الأبطح وكفالتة لصاحب الرسالة، ودرئه عنه كل سوء وعادية، وهتافه بدينه القويم، وخضوعه لناموسه الإلهي في قوله وفعله وشعره ونثره، ودفاعه عنه بكل ما يملكه من حول وطول.

ولو أبو طالب وأبنة * لما مثل الدين شخصاً وقاماً
فذاك بمكة أوى وحامى * وهذا بيثرب جس الحماما
تكفل عبد مناف بأمر * وأودى فكان علي تماماً
فقل في تبيير مضى بعد ما * قضى ما قضاه وأبقى شاماً (2)
فله ذا فاتحاً للهدى * والله ذا للمعالي ختاماً
وما ضر مجد أبي طالب * جهول لغا أو بصير تعامى
كما لا يضر إياب (3) الصبا * ح من ظن ضوء النهار الظلاما (4)

(1) أفك الرجل على جمهور المسلمين، فإن الإمامية والزيدية على بكرة أبيهم ومن حذا حذوهم من محققي أهل السنة ذهبوا إلى إسلام والدي النبي الأقدس، ومن شد عنهم فلا يؤبه به ولا يلتفت إليه. (المؤلف).

(2) تبيير وثمام: اسما جبلين.

(3) في شرح النهج: إياة، ومعناه الضوء.

(4) ذكرها ابن أبي الحديد نفسه في شرحه: ٣ / ٣١٧ [١٤ / ٨٤ كتاب ٩]. (المؤلف).

الصفحة ٤

وهناك طرق لا يمكن التوصل إلى الإذعان بنفسيات اي أحد إلا بها، ألا وهي:

1- استنباطها مما يلفظ به من قول.

2- أو مما ينوء به من عمل.

3- أو مما يروي عنه آله وذووه. فإن أهل البيت أدرى بما فيه.

4- أو مما أسنده إليه من لاث به وبخع له.

1

أقوال أبي طالب المثبته لإيمانه

أما أقوال أبي طالب سلام الله عليه فإليك عقودا عسجدية من شعره الرائق مثبتة في السير والتواريخ وكتب الحديث.

أخرج الحاكم في المستدرك (2 / 623) (1) بإسناده عن ابن إسحاق قال: قال أبو طالب أبياتا للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم - يعني عن المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين:

ليعلم خيار الناس أن محمدا * وزير لموسى والمسيح ابن مريم
أنا بهدي مثل ما أتيا به * فكل بأمر الله يهدي ويعصم (2)
وإنكم تتلون في كتابكم * بصدق حديث لا حديث المبرجم
وإنك ما تأتيت منها عصابة * بفضلك إلا أرجعوا بالتركوم

وقال سلام الله عليه من قصيدة:

فبلغ عن الشحاء أفناء غالب * لويا وتيما عند نصر الكرائم
لانا سيوف الله والمجد كله * إذا كان صوت القوم وجي الغمام
ألم تعلموا أن القطيعة مآثم * وأمر بلاء قاتم غير حازم
وأن سبيل الرشدي يعلم في غد * وأن نعيم الدهر ليس بدائم

(1) المستدرك على الصحيحين: ٢ / ٦٨٠ ح ٤٢٤٧.

(2) في البيت إقواء .

الصفحة ٥

فلا تسفهين أحلامكم في محمد * ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم
تمنيتم أن تقتلوه وإنما * أمانكم هذي كأحلام نائم
وإنكم والله لا تقتلونه * ولما تروا قطف اللحي والغلاصم (1)
ولم تبصروا والأحياء منكم ملاحما * تحوم عليها الطير بعد ملاحم
وتدعو بأرحام أواصر بيننا * فقد قطع الأرحام وقع الصوارم
زعمتم بأنا مسلمون محمدا * ولما نقاذف دونه ونزاحم
من القوم مفضل أبي على العدى * تمكن في الفرعين من آل هاشم

أمين حبيب في العباد مسوم * بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهانا عليه وهيبة * وما جاهل في قومه مثل عالم
نبي أتاه الوحي من عند ربه * ومن قال لا يفرع بها سن نادم
تظيف به جرثومة هاشمية * تذبذب عنه كل عات وظالم

ديوان أبي طالب (ص ٣٢)، شرح ابن أبي الحديد (٣ / ٣١٣). (2)

ومن شعره في أمر الصحيفة التي سنوقفك على قصتها قوله:

ألا أبلغا عني على ذات بينها * لوبا وخصا من لوي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * رسولا كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة * ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
وأن الذي رفقتم في كتابكم * يكون لكم يوما كراغية السقب (3)

(1) في رواية: والجمام. الغلاصم جمع الغلصمة: اللحم بين الرأس والعنق. (المؤلف).

(2) ديوان أبي طالب: ٨٤ - ٨٥، شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧٣ كتاب ٩.

(3) في رواية ابن هشام:

وإن الذي ألقىتم من كتابكم * لكم كائن نحسا كراغية السقب

رقش: كتب وسطر. الراغية من الرغاء: أصواب الإبل. السقب: ولد الناقة. (المؤلف).

أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبي * (1) ويصبح من لم يجن ذنبا كذي ذنب

الصفحة ٦

ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا * أو اصرنا بعد المودة والقرب
وتسجلبوا حربا عوانا (2) وربما * أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم أحمدا * لعزاء من عض الزمان ولا كرب (3)
ولما تبين منا ومنكم سواف * وأيد أترت (4) بالمهنة الشهب
بمعترك ضنك ترى كسر القنا * به والضباغ العرج تعكف كالشرب (5)
كأن مجال الخيل في حجراته * ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره * وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا * ولا نشتكى مما ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفاظ والنهي * إذا طار أرواح الكماة من الرعب

سيرة ابن هشام (١ / ٣٧٣)، شرح ابن أبي الحديد (٣ / ٣١٣)، بلوغ الأرب (١ / ٣٢٥)، خزانة الأدب للبغدادي
(١ / ٢٦١)، الروض الأنف (١ / ٢٢٠)، تاريخ ابن كثير (٣ / ٨٧)، أسنى المطالب (ص ٦، ١٣)، طلبية الطالب
(ص ١٠). (6) (ومن شعره قوله:

ألا ما لهم آخر الليل معتم * طواني وأخرى النجم لما تقم

(1) في سيرة ابن هشام [١ / ٣٧٧]: الترى، بدل الزبي. (المؤلف).

(2) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى. أشد الحروب. (المؤلف).

(3) العزاء: السنة الشديدة. عض الزمان: شدته وكلبه. (المؤلف).

(4) تبين: تنفصل. السوالف: صفحات الأعناق. أترت: قطعت. (المؤلف).

(5) ضنك: ضيق. الضياع العرج مر ص ٥٨. الشرب: الجماعة من القوم يشربون. والشطر الثاني في سيرة ابن هشام [٣٧٩ / ١]: به والنسور الطخم يعكفن كالشرب. (المؤلف).

(6) السيرة النبوية: ١ / ٣٧٧ - ٣٧٩، شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧٢ كتاب ٩، خزنة الأدب 76 / 2، الروض الأنف: ٣ / ٢٨٣، البداية والنهاية: ٣ / ١٠٨.

الصفحة ٧

طواني وقد نامت عيون كثيرة * وسامر أخرى قاعد لم ينوم
لأحلام أقوام أرادوا محمدا * بظلم ومن لا يتقي البغي يظلم
سعوا سفها واقتادهم سوء أمرهم * على خائل من أمرهم غير محكم
رجاة أمور لم ينالوا نظامها * وإن نشدوا في كل بدو وموسم
يرجون منا خطة دون نيلها * ضراب وطعن بالوشيج المقوم (1)
يرجون أن نسخي بقتل محمد * ولم يختضب سمر العوالي من الدم
كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا * جماجم تلقى بالحميم وزموم (2)
وتقطع أرحام وتنسى حليلة * حليلا ويغشى محرم بعد محرم
وينهض قوم بالحديد إليكم * يذبون عن أحسابهم كل مجرم
هم الأسد أسد الزارتين إذا غدت * على حنق لم تخش إعلام معلم
فيا لبني فهر أفيقوا ولم تقم * نوائح قتلى تدعي بالتسدم (3)
على ما مضى من بغيكم وعقوقكم * وغشيانكم في أمرنا كل مأتّم
وظلم نبي جاء يدعو الى الهدى * وأمر أتى من عند ذي العرش قيم (4)
فلا تحسبونا مسلميه ومثله * إذا كان في قوم فليس بمسلم
فهذي معاذير وتقدمة لكم * لكيلا تكون الحرب قبل التقدم
ديوان أبي طالب (5) ص ٢٩، شرح ابن أبي الحديد (٣ / ٣١٢). (6)

وله قوله مخاطبا للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم :

(1) الوشيج: الرماح.

(2) في الديوان: تفرقوا. بدلا من: تفلقوا. و: بالحطيم. بدلا من: بالحميم.

(3) التسدم من السدم: الهم مع الندم، الغيظ مع الحزن. (المؤلف).

(4) في رواية شيخ الطائفة: مبرم. (المؤلف).

(5) ديوان أبي طالب: ص ٨٢ - ٨٣.

(6) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧١ كتاب ٩.

الصفحة ٨

والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وايشر بذاك وقر منك عيوننا

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي * ولقد دعوت وكننت ثم أمينا (1)
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

رواها الثعلبي في تفسيره وقال: قد أتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب: مقاتل، وعبد الله بن عباس،
والقسم بن محضرة، وعطاء بن دينار.

راجع (2): خزانة الأدب للبغدادي (١ / ٢٦١)، تاريخ ابن كثير (3 / 42)، شرح ابن أبي الحديد (٣ / ٣٠٦)،
تاريخ أبي الفدا (١ / ١٢٠)، فتح الباري (٧ / 153)، الإصابة (٤ / ١١٦)، المواهب اللدنية (١ / ٦١)،
السيرة الحلبية (١ / 305)، ديوان أبي طالب (ص ١٢) طلبة الطالب (ص ٥) بلوغ الأرب (١ / ٣٢٥)، السيرة
النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية (١ / ٩١ / ٢١١)، وذكر البيت الأخير في أسنى المطالب (ص ٦) فقال: عدّة
البرزنجي من كلام أبي طالب المعروف .

لقت نظر :

زاد القرطبي وابن كثير في تاريخه على الأبيات:

لولا الملامة أو حذاري سبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

(1) وفي رواية القسطلاني:

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي * ولقد صدقت وكننت ثم أمينا

(المؤلف)

(2) خزانة الأدب: ٢ / ٧٦، البداية والنهاية: ٣ / ٥٦، شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٥٥ كتاب 9، فتح الباري: ٧ /
١٩٤، ١٩٦، المواهب اللدنية: ١ / ٢٢٣، السيرة الحلبية: ١ / ٢٨٧، ديوان أبي طالب: ص ٤١، السيرة النبوية
لزيني دحلان: ١ / ٤٥، أسنى المطالب: ص ١٠ .

الصفحة ٩

قال السيد أحمد زيني دحلان في أسنى المطالب (1) ص ١٤: (فقيل: إن هذا البيت موضوع أدخلوه في شعر أبي
طالب وليس من كلامه.

قال الأميني: هب أن البيت الأخير من صلب ما نظمه أبو طالب عليه السلام فإن أقصى ما فيه أن العار والسبة،
الذان كان أبو طالب عليه السلام يحذرهما خيفة أن يسقط محله عند قریش فلا تتسنى له نصره الرسول المبعوث
صلى الله عليه وآله وسلم، إنما منعه عن الإبانة والإظهار لا اعتناق الدين، وإعلان الإيمان بما جاء به النبي
الأمين، وهو صريح قوله: لوجدتني سمحا بذاك مبينا، أي مظهرا، وأين هو عن اعتناق الدين في نفسه، والعمل
بمقتضاه من النصر والدفاع؟ ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتا بينا بينه وبين أبياته الأولى التي
ينص فيها بأن دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم من خير أديان البرية دينا، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم
صادق في دعوته أمين على أمته.

ومن شعره قوله قد غضب لعثمان بن مظعون حين عذبتة قریش ونالت منه:

أمن تذكر دهر غير مأمون * أصبحت مكتنبا تبكي كمحزون
أم من تذكر أقوام ذوي سفه * يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
ألا ترون أذل الله جمعكم * إنا غضبنا لعثمان بن مظعون
ونمنع الضيم من يبغي مضيمننا * بكل مطرد في الكف مسنون
ومرهفات كان الملح خالطها * يشفى بها الداء من هام المجانين

حتى تقف رجال لا حلوم لها * بعد الصعوبة بالأسماع واللين
أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب * على نبي كموسى أو كذي النون (2)

ومن شعره يمدح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

(1) أسنى المطالب: ص ٢٥.

(2) شرح ابن أبي الحديد: ٣ / ٣١٣ [١٤ / ٧٣ كتاب ٩] (المؤلف).

الصفحة ١٠

لقد أكرم الله النبي محمدا * فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من إسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

أخرجه (1) البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن يزيد، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ٦)، وابن
عساكر في تاريخه (٢٧٥/١)، وذكره له ابن أبي الحديد في شرحه (٣ / ٣١٥)، وابن كثير في تاريخه (١ /
٢٦٦)، وابن حجر في الإصابة (4 / 115)، والقسطلاني في المواهب اللدنية (١ / ٥١٨) نقلا عن تاريخ
البخاري، والديار بكري في تاريخ الخميس (١ / ٢٥٤) فقال: أنشأ أبو طالب في مدح النبي أبياتا منها هذا البيت:

وشق له من إسمه ليجله

حسان بن ثابت ضمن شعره هذا البيت فقال:

ألم تر أن الله أرسل عبده * بآياته والله أعلى وأمج
وشق له من إسمه ليجله

والزرقاني في شرح المواهب (٣ / ١٥٦) وقال: توارد حسان معه أو ضمنه شعره وبه جزم في الخميس، أسنى
المطالب (2) ص ١٤).

ومن شعره المشهور كما قاله ابن أبي الحديد في شرحه (3 / 315) (3)

أنت النبي محمد * قرم أغر مسود
لمسودين أكارم * طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها * عمرو الخضم الأوح

(1) التاريخ الصغير: ١ / ٣٨، دلائل النبوة: ١ / ٤٤ ح ٢، تاريخ مدينة دمشق: ٣ / ٣٢ - 33، شرح نهج
البلاغة: ١٤ / ٧٨ كتاب ٩، البداية والنهاية: ٢ / ٣٢٥، المواهب اللدنية: 2 / 25 :

(2) أسنى المطالب: ص ٢٤.

(3) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧٧ كتاب ٩.

الصفحة ١١

- (1) هشم الرببكية في الجفا * ن وعيش مكة أنكد
فجرت بذلك سنة * فيها الخبيزة تنرد
- (2) ولنا السقاية للحجيد * ج بها يماث العنجد

والمأزمان (3) وما حوت * عرفاتها والمسجد
أنى تضام ولم أمت * وأنا الشجاع العربد
وبطاح مكة لا يرى * فيها نجيع أسود
وبنو أبيك كأنهم * أسد العرين توقدوا
ولقد عهدتك صادقا * في القول لا يتزيد
ما زلت تنطق بالصوا * ب وأنت طفل أمرد

جاء أبو جهل بن هشام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجد ويبيده حجر يريد أن يرميه به، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد، فقال أبو طالب:

أفبقوا بني غالب وانتهوا * عن الغي من بعض ذا المنطق
وإلا فإني إذن خائف * بوائق في داركم تلتقي
تكون لغيركم عبرة * ورب المغارب والمشرق
كما نال من كان من قبلكم * ثمود وعاد وماذا بقي
غداة أتاهم بها صرصر * وناقاة ذي العرش قد تستقي
فحل عليهم بها سخطه * من الله في ضربة الأزرق (4)

(1) عمرو: أسم هاشم بن عبد مناف. الخضم: كثير العطاء. الربيكة: طعام يعمل من تمر وأقط وسمن.

(2) مات الشيء ميتا: مرسه. ومات الملح في الماء: أذابه. العنجد: الزبيب.

(3) المأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين [معجم البلدان: ٥ / ٤٠].

(المؤلف)

(4) الأزرق: عاقر ناقاة صالح .

الصفحة ١٢

غداة يعرض بعرقوبها * حساما من الهند ذا رونق
وأعجب من ذاك في أمركم * عجائب في الحجر الملتصق
بكف الذي قام من خبثه * إلى الصابر الصادق المتقي
فأثبته الله في كفه * على رغمة الجائر الأحمق
أحيمق مخزومكم إذ غوى * لغي الغواة ولم يصدق

ديوان أبي طالب (1) ص ١٣، شرح ابن أبي الحديد (٣ / ٣١٤). (2)

قال ابن أبي الحديد في شرحه: (3 / 314) (3) قالوا: وقد اشتهر عن عبد الله المأمون رحمه الله أنه كان يقول:
أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرت الرسول رسول الملوك * ببيض تلالا كلع البروق
أذب وأحمي رسول الإله * حماية حام عليه شفيق
وما إن أدت لأعدائه * ديبب البكار حذار الفنيق (4)
ولكن أزيير لهم ساميا * كما زار ليث بغيل مضيق

وتوجد هذه الأبيات مع بيت زائد في ديوانه (5) ص ٢٤).

ولسيدنا أبي طالب أبيات كتبها إلى النجاشي بعد ما خرج عمرو بن العاص إلى بلاد الحبشة ليكيده جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي. يحرص النجاشي على إكرام جعفر والإعراض عن ما يقوله عمرو (6) منها:

(1) ديوان أبي طالب: ص ٤٢ .

(2) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧٤ كتاب ٩ .

(3) المصدر السابق.

(4) الفنيق: الفحل المكرم لا يؤذي ولا يركب لكرامته جمع فنق وأفناق. (المؤلف).

(5) ديوان أبي طالب: ص ٧٠ .

(6) ديوان أبي طالب ص ١٠٩ وهي مما استدركه محقق الديوان على جامعه .

الصفحة ١٣

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر * وعمرو وأعداء النبي الأقراب
وهل نال إحسان النجاشي جعفرا * وأصحابه أم عاق عن ذلك شاغب
تعلم أبيات اللعن (1) أنك ماجد * كريم فلا يشقى إليك المجانب
ونعلم أن الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب

تاريخ ابن كثير (3 / 77) (2)، شرح ابن أبي الحديد (٣/ ٣١٤).

قال ابن أبي الحديد في شرحه: (3 / 315) (3) ومن شعره المشهور أيضا قوله يخاطب محمدا، ويسكن جأشه،
ويأمره باظهار الدعوة:

لا يمنحك من حق تقوم به * أيد تصول ولا سلق بأصوات
فإن كفك كفي إن بهم مليت * (4) ودون نفسك نفسي في الملمات

قال ابن هشام: (5) ولما خشى أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة
وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا تاركة لشيء أبدا، حتى يهلك دونه، فقال أبو طالب:

خليلي ما أذني لأول عادل * بصغواء في حق ولا عند باطل
ولما رأيت القوم لاود فيهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزائل

(1) أبيات اللعن، كلمة كانت العرب تحيي بها ملوكها في الجاهلية، معناها: أبيت أيها الملك أن تأتي بها تلعن عليه.

(2) البداية والنهاية: ٣ / ٩٧ .

(3) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧٧ كتاب ٩ .

(4) في المصدر: إن بليت بهم.

(5) السيرة النبوية: ١ / ٢٩١ .

الصفحة ١٤

وقد حالفوا قوما علينا أظنة * (1) يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمرء سمحة * وأبيض غضب من تراث المقاول (2)
* * *

أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق ليرقى في حراء ونازل (3)
وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسخونه * إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل
* * *

كذبتكم وبيت الله نترك مكة * ونظعن إلا أمرمك في بلابل
كذبتكم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل (4)
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم بالحديد إليكم * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل (5)
وحتى نرى ذا الظغن يركب ردهه * من الطعن فعل الأنكب المتحامل (6)
وإنا لعمر الله إن جد ما أرى * لتلتبس أسيافنا بالأماثل
بكفي فتى مثل الشهاب سميدع * أخي ثقة حامى الحقيقة باسل

(1) أظنة: جمع ظنين: المتهم. (المؤلف).

(2) سمرء سمحة: أراد بها قناة لينة تسمح بالانعطاف عند هزها. العضب: القاطع. المقاول: أراد بها السادات.
(المؤلف).

(3) نور وثبير وحراء: جبال في مكة. (المؤلف).

(4) نبزى: تسلب.

(5) الروايا: الإبل التي تحمل الماء، واحدها: راوية. الصلاصل جمع الصلصلة: الصوت وذات الصلاصل:
المزادات التي فيها بقية من الماء يسمع لها صوت حين تسير الإبل). (المؤلف).

(6) يقال: ركب ردهه، أي خر صريعا لوجهه. الأنكب: الذي يمشي على شق. (المؤلف).

الصفحة ١٥

شهورا وأياما وحولا مجرما * (1) علينا وتأتي حجة بعد قابل
وما ترك قوم - لا أبا لك - سيذا * يحوط الذمار غير ذرب مواكل (2)
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في رحمة وفواضل
* * *

بميزان قسط لا يخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل (3)
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا * بني خلف قيضا بنا والغياطل (4)
ونحن الصميم من ذوابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الأوائل
وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا * علينا العدا من كل طمل وخامل (5)
فعبد مناف أمنتم خير قومكم * فلا تشاركوا في أمرمك كل واغل (6)
* * *

ألم تعلموا أن أبننا لا مكذب * لدينا لا نعيا بقول الأباطل
أشم من الشم البهاليل ينتمي * إلى حسب في حومة المجد فاضل
لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد * وأحبيته حب الحبيب المواصل

- (1) حولا مجرما: أي مكملا. يقال: تجرمت السنة، إذا كملت وانقضت. (المؤلف).
- (2) الذمار: ما يلزمك أن تحميه. ذرب: فاسد. مواكل: يتكل على غيره. (المؤلف).
- (3) لا يخيس من قولهم: خاس بالعهد إذا نقضه وأفسده، ويروى لا يخس أي لا ينقص. عائل: جائر. (المؤلف).
- (4) قبيضا بنا: عوضا منا تقول: قاضه بكذا أي عوضه به. الغيطة: من بني مرة بن عبد مناة إخوة مدلج بن مرة وهي أم الغياطل، فقيل لولدها: الغياطل وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص. (المؤلف).
- (5) الطمل: الرجل الفاحش لا يبالي ما صنع. اللثيم، الأحمق، اللص الفاسق. (المؤلف).
- (6) كل واغل: أراد كل ملصق ليس من صميم، وأصل الواغل الداخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى. (المؤلف).

الصفحة ١٦

فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها * وزينا لمن والاه رب المشاكل
فأصبح فينا أحمد في أرومة * تقصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرى والكلاكل (1)
فأيده رب العباد بنصره * وأظهر ديننا حقه غير باطل

هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته (1 / 286) (2) - (298)، أربعة وتسعين بيتا وقال: هذا ما صح لي من هذه القصيدة. وذكر ابن كثير منها اثنين وتسعين بيتا في تاريخه (3 / 53) (3) - (57)، وفي رواية ابن هشام ثلاثة أبيات لم توجد في تاريخ ابن كثير وقال (ص 57) قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جدا لا يستطيع قولها إلا من نسبت إليه، وهي أفضل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها، وقد أوردها الأموي في مغازيه مطولة بزيادات آخر والله أعلم.

وذكرها أبو هفان العبدي في ديوان أبي طالب (4) ص 2 - 12) في مائة وأحد عشر بيتا ولعلها تمام القصيدة.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه (3 / 315) (5) بعد ذكر جملة من شعر أبي طالب: فكل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر، لأنه إن لم تكن أحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك وهو تصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومجموعها متواتر كما أن كل واحدة من قتلات علي عليه السلام الفرسان منقولة أحادا ومجموعها متواتر يفيدنا

- (1) حديث عطف ومنعت. الذرى جمع ذرة: أعلى ظهر البعير. الكلاكل جمع كلكل: معظم الصدر. (المؤلف)

(2) السيرة النبوية: 1 / 291 - 299.

(3) البداية والنهاية: 3 / 70 - 74.

(4) ديوان أبي طالب: ص 21 - 38.

(5) شرح نهج البلاغة: 14 / 78 كتاب 9.

الصفحة ١٧

العلم الضروري بشجاعته، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف ومعاوية وذكاء أياس وخلاعة أبي نواس وغير ذلك. قالوا: واتركوا هذا كله جانباً، ما قولكم في القصيدة اللامية التي شهرتها كشهرة قفا نيك؟ وإن جاز الشك فيها أو في شيء من أبياتها جاز الشك في قفا نيك وفي بعض أبياتها.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري: (2 / 227) (1) قصيدة جلييلة بليغة من بحر الطويل، وعدة أبياتها مائة وعشرة أبيات، قالها لما تمالأ قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونفروا عنه من يريد الإسلام.

وذكر منها في المواهب اللدنية (1 / 48) (2)، أبياتاً فقال: هي أكثر من ثمانين بيتاً قال ابن التين: إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا وغيره من شأنه. وقال العيني في عمدة القاري (3 / 434) (3): قصيدة طنانة وهي مائة بيت وعشرة أبيات أولها:

خليلي ما أذني لأول عادل * بصغواء في حق ولا عند باطل

وذكر منها البغدادي في خزنة الأدب (1 / 252) (4) - ٢٦١ (اثنين وأربعين بيتاً مع شرحها، وقال: أولها:

خليلي ما أذني لأول عادل * بصغواء في حق ولا عند باطل
خليلي إن الرأي ليس بشركة * ولا نهنه عند الأمور البلابل (5)

(1) إرشاد الساري: ٢٦ / ٣.

(2) المواهب اللدنية: ١٨٥ / ١.

(3) عمدة القاري: ٣٠ / ٧.

(4) خزنة الأدب: ٧٥ - ٥٩ / ٢.

(5) النهنه: المضيء، والنير الشفاف الذي يظهر الأشياء على جليتها. البلابل: جمع بلبله أو بلبال، وهما بمعنى الهم ووساوس الصدر.

الصفحة ١٨

ولما رأيت القوم لاود عندهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وذكر الألويسي عدة منها في بلوغ الأرب (1 / 237) (1) وذكر كلمة ابن كثير المذكور وقال: هي مذكورة مع شرحها في كتاب لب لباب لسان العرب.

وذكر منها السيد زيني دحلان أبياتاً في السيرة النبوية هامش الحلبية (1 / 88) (2) فقال: قال الإمام عبد الواحد السفاقي (3) في شرح البخاري: إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الزاهب وغيره من شأنه، مع ما شاهده من أحواله، ومنها الاستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوته صلى الله عليه وآله وسلم، جاءت في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره.

قال الأميني: أنا لا أدري كيف تكون الشهادة والاعتراف بالنبوة إن لم يكن منها هذه الأساليب المتنوعة المذكورة في هذه الأشعار؟ ولو وجد واحد منها في شعر أي أحد أو نثره لأصفق الكل على إسلامه، لكن جميعها لا يدل على إسلام أبي طالب. فاعجب واعتبر!

هذه جملة من شعر أبي طالب عليه السلام الطافح من كل شطره الإيمان الخالص، والإسلام الصحيح، قال العلامة الأوحدي ابن شهر آشوب المازندراني في كتابه متشابهاة القرآن عند قوله تعالى: ولينصرن الله من ينصره: (4))

إن أشعار أبي طالب الدالة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكشف فيها من يكشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويصح نبوته. ثم ذكر جملة ضافية ومما ذكر له قوله في وصيته :

(1) بلوغ الإرب: ١ / ٣٢٦.

(2) السيرة النبوية: ١ / ٤٣.

(3) هو ابن التين المذكور في كلام القسطلاني. (المؤلف).

(4) الحج: ٤٠.

الصفحة ١٩

أوصي بنصر نبي الخير أربعة * إبنى عليا وشيخ القوم عباسا
وحمزة الأسد الحامي حقيقته * وجعفرأ أن تذودا دونه الناسا
كونوا فداء لكم أمي وما ولدت * في نصر أحمد دون الناس أتراسا (1)

- ٢ -

ما ناء به من عمل بار وقول مشكور

أما ما ناء به سيد الأباطح أبو طالب سلام الله عليه من عمل بار وسعي مشكور في نصرته النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلاءته والذب عنه والدعوة إليه وإلى دينه الحنيف منذ بدء البعثة إلى أن لفظ أبو طالب نفسه الأخير، وقد تخلل ذلك جمل من القول كلها نصوص على إسلامه الصحيح، وإيمانه الخالص، وخضوعه للرسالة الإلهية، فإلى الملتقى. روى القوم:

1- قال ابن إسحاق: إن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجرا، فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير هب له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ بزمام ناقته وقال: يا عم إلى من تكلمي لا أب لي ولا أم لي؟ فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا. قال: فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وتهيأ راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة راهب إليه يصير علمهم من كتاب فيهم كما يزعمون يتوارثونه كائنا عن كائن، فلما نزلوا ذلك العام ببجيرا وكانوا كثيرا ما يمرون عليه قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يتعرض لهم، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريبا من صومعته فصنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله صلى الله عليه وآله وسلم من بين القوم. ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة وتهصرت، يعني تدلت أغصانها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى

(1) في النسخة المطبوعة من متشابهات القرآن تصحيف وتحريف في الأبيات. راجع: ٢ / ٦٥. المؤلف.

الصفحة ٢٠

استظل تحتها، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا إن لذلك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقولون، ولكنكم ضيوف فأحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما تأكلون منه كلكم، فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين القوم لحدائته سنة في رحال القوم تحت الشجرة.

فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرفها وهي موجودة عنده، فقال: يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا، فقالوا: يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سنا تخلف في رحالهم، قال: فلا تقبلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل من قريش: واللات والعز أن لهذا اليوم نبأ. أيليق أن يتخلف ابن عبد الله عن الطعام من بيننا؟ ثم قام إليه فاحتضنه ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم. فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفة حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرا فقال له: يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تسألني باللات والعزى شيئاً قط، فقال بحيرا: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه. فقال: سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من نومه وهيبته وأموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفة، ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفة التي عنده. الحديث.

فقال ابو طالب في ذلك:

إن ابن أمنة النبي محمداً * عندي يفوق منازل الأولاد

الصفحة ٢١

- لما تعلق بالزمام رحمته * والعيس قد قلصن (1) بالأزواد
فارفض من عيني دمع ذارف * مثل الجمان مفرق الافراد
راعت فيه قرابة موصولة * وحفظت فيه وصية الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومة * بيض الوجوه مصالت أنجاد (2)
ساروا لأبعد طية معلومة * فلقد تباعد طية (3) المرتاد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا * لا قوا على شرك من المرصاد (4)
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً * عنه ورد معاشر الحساد
قوم يهود قد رأوا لما رأى * ظل الغمام وعن ذي الأكباد (5)
ثاروا لقتل محمد فنهاهم * عنه وجاهد أحسن التجهاد
فتنى زبيراً من بحيرا فانتنى * في القوم بعد تجاولٍ وبعاد (6)
ونهى دريساً فانتهى عن قوله * حبر يوافق أمره برشاد

وقال أيضاً:

ألم ترني من بعد هم هممته * بفرقة حر الولدين حرام (7)

(1) قلص القوم: اجتمعوا فساروا. قلصت الناقة: استمرت في مضيتها. تقلص: انضم وانزوى، تدانى.

(المؤلف)

(2) مصالت: الماضي في الحوائج. الصلت الجبين: الواضح. نجد جمع النجد: الضابط للأمر يذلل المصاعب. الشجاع الماضي فيما يعجز غيره. سريع الإجابة إلى ما دعي إليه. المؤلف)

(3) في الموضوعين في رواية: طبة. بالموحدة مؤنث الطب بفتح الطاء. الناحية. المؤلف)

(4) في الديوان: على شرف من المرصاد.

(5) وفي رواية:

قوم يهود قد رأوا ما قد رأوا * ظل الغمامة ناغري الأكباد

(المؤلف)

(6) كذا في تهذب تاريخ دمشق: ١ / ٢٧٢، وفي الديوان: وثنى بحيرا زبيراً فانتنى...

(7) كذا في تهذيب تاريخ دمشق، وفي الديوان والروض الأنف: كرام، بدلاً من حرام .

الصفحة ٢٢

بأحمد لما أن شددت مطيتي * برحلي وقد ودعته بسلام
بكي حزناً والعيس قد فصلت بنا * وأخذت بالكفين فضل زمام
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة * تجود من العينين ذات سجام
فقلت: ترحل راشداً في عمومة * مواسير في البأساء غير لئام (1)
فجاء مع العير التي راح ركبها * شامي الهوى والاصل غير شام
فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا * لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاء بحيرا عند ذلك حاشداً * لنا بشراب طيب وطعام
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا * فقلنا جمعنا القوم غير غلام
يتيم فقال ادعوه إن طعامنا * كثير عليه اليوم غير حرام
فلو لا الذي خبرتم عن محمد * لكنتم لدينا اليوم غير كرام
فلما رآه مقبلاً نحو داره * يوقيه حر الشمس ظل غمام
حنا رأسه شبه السجود وضمه * إلى نحره والصدر أي ضمام
وأقبل ركب بطلبون الذي رأى * بحيرا من الاعلام وسط خيام
فتار اليهم خشية لعراهم * (2) وكانوا ذوي بغي لنا وعراهم
دريس وتمام وقد كان فيهم * (3) زبير وكل القوم غير نيام
فجاؤوا وقد هموا بقتل محمد * فردهم عنه بحسن خصام
بتأويله التوراة حتى تيقنوا * وقال لهم رمتم أشد مرام
أتبعون قتلاً للنبي محمد * خصصتم على شؤم بطول أثم
وإن الذي نختاره منه مانع * سيكفيه منكم كيد كل طعام
فذلك من أعلامه وبيانه * وليس نهار واضح كظلام

(1) في الديوان والروض الأنف، مواسين بدلاً من: مواسير.

(2) العراهم: الشراسة والأذى. (المؤلف)

(3) دريس، وتمام، وزبير - في بعض النسخ: زدير. أحبار من اليهود. (المؤلف)

الصفحة ٢٣

ديوان أبي طالب (1) ص ٣٣ - ٣٥)، تاريخ ابن عساكر (1 / 269 (2) - ٢٧٢)، الروض الأنف (3) / ١٢٠.

وذكر السيوطي الحديث من طريق البيهقي في الخصائص الكبرى (1 / 84) (4) فقال في (ص ٨٥): وقال أبو طالب في ذلك أبياتاً منها:

فما رجعوا حتى رأوا من محمد * أحاديث تجلو غم كل فواد
وحتى رأوا أحبار كل مدينة * سجوداً له من عصبية وفواد
زبيراً وتماماً وقد كان شاهداً * دريساً وهموا كلهم بفساد
فقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا * له بعد تكذيب وطول بعاد
كما قال للرهبان الذين تهودوا * وجاهدهم في الله كل جهاد
فقال ولم يترك له النصح رده * فإن له إرصاد كل مصاد
فإني أخاف الحاسدين وإنه * لفي الكتب مكتوب بكل مداد

استسقاء أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم

أخرج ابن عساكر في تاريخه في تاريخه (5) عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش: يا أبا طالب أقط الوادي، وأجذب العيال، فاهلم واستسق. فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه صحابه قتماً وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بإصبعه الغلام، وما في السماء فزعة (6)،

(1) ديوان أبي طالب: ص ٨٩ - ٩٠.

(2) تاريخ مدينة دمشق: ٣ / ١٢ - ١٤.

(3) الروض الأنف: ٢ / ٢٢٧.

(4) الخصائص الكبرى: ١ / ١٤٤.

(5) مختصر تاريخ دمشق: ٢ / ١٦١ - ١٦٢.

(6) الفزعة: القطعة من السحاب. (المؤلف)

الصفحة ٢٤

فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، واغدق وأغدوق، وانفجر له الوادي، وأخصب البادي والنادي، وفي ذلك قول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغم بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهالك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان عدل لا يخيس شعيرة * ووزان صدق وزنه غير هائل

شرح البخاري للقسطلاني (٢ / ٢٢٧)، المواهب اللدنية (١ / ٤٨)، الخصائص الكبرى (٨٦ / 124)، شرح بهجة المحافل (١ / ١١٩)، السيرة الحلبية (١ / ١٢٥)، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية (١ / ٨٧)، طلبه الطالب (ص ٤٢). (1)

ذكر الشهرستاني في الملل والنحل (2) بهامش الفصل (٣ / ٢٢٥) سيدنا عبد المطلب وقال: ومما يدل علي معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكة لما أصابهم ذلك الجذب العظيم، وأمسك السحاب عنهم سنتين، أمر أبا طالب ابنه أن يحضر المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو رضيع في قماط، فوضعه على يديه واستقبل الكعبة رماه إلى السماء وقال: يا رب بحق هذا الغلام. ورماه ثانياً وثالثاً وكان يقول: بحق هذا الغلام اسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً. أن يلبث ساعة طبق السحاب وجه السماء وأمطر حتى خافوا على المسجد، وأنشد أبو طالب ذلك الشعر الامي الذي منه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ثم ذكر أبياتاً من القصيدة، ولا يخفى على الباحث أن القصيدة نظمها أبو طالب عليه السلام أيام كونه في الشعب كما مر .

(1) إرشاد الساري: ٣ / ٢٧، المواهب اللدنية: ١ / ١٨٤، الخصائص الكبرى: ١ / ١٤٦، 208، السيرة الحلبية: ١ / ١١٦، السيرة النبوية: ١ / ٤٣.

(2) الملل والنحل: ٢ / ٢٤٩.

فاستسقاء عبد المطلب وابنه سيد الأبطح بالنبي الأعظم يوم كان صلى الله عليه وآله وسلم رضيعاً يافعاً يعرب عن توحيدهما الخالص، وإيمانهما بالله، وعرفانهما بالرسالة الخاتمة، وقداسة صاحبها من أول يومه، ولو لم يكن لهما إلا هذان الموقفان لكفياهما، كما يكفيان الباحث عن دليل آخر على اعتناقهما للإيمان.

3- أبو طالب في مولد أمير المؤمنين عليه السلام :

عن جابر بن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ميلاد علي بن أبي طالب فقال: «لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح عليه السلام، إن الله تبارك وتعالى خلق علياً من نوري وخلقتني من نوره وكلانا من نور واحد، ثم إن الله عز وجل نقلنا من صلب آدم عليه السلام في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكية، فما نقلت من صلب إلا ونقل علي معي، فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي أمنة. واستودع علياً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد». وكان في زماننا رجل زاهد عابد يقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان قد عبد الله تعالى مائتين وسبعين سنة لم يسأل الله حاجة، فبعث الله إليه أبا طالب، فلما بصره المبرم قام إليه وقبل رأسه وأجلسه بين يديه ثم قال: من أنت؟ فقال: رجل من تهامة. فقال: من أي تهامة؟ فقال: من بني هاشم. فوثب العابد فقبل رأسه ثم قال: يا هذا إن العلي الأعلى ألهمني إلهاماً. قال أبو طالب: وما هو؟ قال: ولد يولد من ظهرك وهو ولي الله جل وعلى. فلما كان الليلة التي ولد فيها علي أشرفت الأرض، فخرج أبو طالب وهو يقول: أيها الناس ولد في الكعبة ولي الله، فلما أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا رب هذا الغسق الدجي * والقمر المنبلج المضي

بين لنا من أمرك الخفي * ماذا ترى في إسم ذا الصبي

قال: فسمع صوت هاتف يقول :

يا أهل بيت المصطفى النبي * خصصتم بالوالد الزكي
إن اسمه من شامخ العلي * علي اشتق من العلي

أخرجه الحافظ الكنزي الشافعي في كفاية الطالب (1) ص ٢٦٠ (وقال: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي وهو شيخ الشافعي، وتفرد به عن الزنجي عبد العزيز بن عبد الصمد وهو معروف عندنا).

4- بدء أمر النبي وأبو طالب

أخرج فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرسول (2) بإسناده عن طاووس عن ابن عباس في حديث طويل: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للعباس رضي الله عنه إن الله قد أمرني بإظهار أمري وقد أنبأني واستنبأني فما عندك؟ فقال له العباس رضي الله عنه: يا بن أخي تعلم أن قريشاً أشد الناس حسداً لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطماء والداهية العظيمة ورمينا عن قوس واحد وانتسفونا نسفاً، صلنا (3) ولكن قرب إلى عمك أبي طالب فإنه كان أكبر أعمامك إن لا ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك، فأتياه، فلما رأهما أبو طالب قال: إن لكما لظنة وخبراً، ما جاء بكما في هذا الوقت؟ فعرفه العباس ما قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أجابه به العباس، فنظر إليه أبو طالب وقال له: أخرج يا بن أخي فإنك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لا يسلكك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبتة سيوف حداد، والله لتذللن لك العرب ذل اليهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: إن من صلبي لنبياً، لوددت أني أدركت ذلك

(2) راجع الطرائف لسيدنا ابن طاووس: ص ٨٥ (ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ح ٣٨٨)، وضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشریف (المؤلف)

(3) الصلت: الشديد .

الصفحة ٢٧

الزمان فأمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به.

قال الأميني: أترى أن أبا طالب يروي ذلك عن أبيه مطمئناً به؟ وينشط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا التنشيط لأول يومه، ويأمره بإشهار أمره والإشادة بذكر الله، وهو مخبت بأنه هو ذلك النبي الموعود بلسان أبيه والكتب السالفة، ويتكهن بخضوع العرب له، أتراه سلام الله عليه يأتي بهذه كلها ثم لا يؤمن به؟ إن هذا إلا اختلاف.

5- أبو طالب وفقده النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ذكر ابن سعد الواقدي في الطبقات الكبرى (1 / 186) (1) طبع مصر و (ص ١٣٥) طبع ليدن حديث ممشى قريش إلى أبي طالب في أمره صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قال: فاشمأزوا ونفروا منها - يعني من مقالة محمد - وغضبوا وقاموا وهم يقولون: اصبروا على آلهتكم، إن هذا لشيء يراد، ويقال المتكلم بهذا عقبة بن أبي معيط. وقالوا: لا نعود إليه أبداً، وما خير من أن نغتال محمداً. فلما كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجده، فجمع فتيناً من بني هاشم وبني المطلب ثم قال: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة، ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد، فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فإنه لم يرغب عن شر إن كان محمد قد قتل، فقال الفتيان: نفع، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال؛ فقال: يا زيد أحسست ابن أخي؟ قال: نعم كنت معه آنفاً. فقال أبو طالب: لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه؛ فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدثون فأخبر الخبر فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بي بي طالب، فقال: يا بن أخي أين كنت؟ أكنت في خير؟ قال: نعم. قال: ادخل بيتك، فدخل

(1) الطبقات الكبرى: ١ / ٢٠٢ - ٢٠٣ .

الصفحة ٢٨

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فلما أصبح أبو طالب غداً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذ بيده فوقف به على أندية قريش ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون فقال: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا. فأخبرهم الخبر، وقال للفتيان: اكشفوا عما في أيديكم فكشفوا، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة فقال: والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً. حتى نتقاني نحو وأنتم، فانكسر القوم وكان أشدهم انكساراً أبو جهل.

لفظ آخر

وأخرج الفقيه الحنبلي إبراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه نهاية الطلب (1) بإسناده عن عبد الله بن المغيرة بن معقب، قال: فقد أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فظن أن بعض قريش اغتاله فقتله، فبعث إلى بني هاشم فقال: يا بني هاشم أظن أن بعض قريش اغتال محمداً فقتله، فليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة وليجلس إلى جنب عظيم من عظماء قريش، فإذا قلت: أبغي محمداً. قتل كل منكم الرجل الذي إلى جانبه. وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت عند الصفا، فأتى أبا طالب وهو في المسجد، فلما رآه أبو طالب أخذ بيده ثم قال: يا معشر قريش، فقدت محمداً فظننت أن بعضكم اغتاله فأمرت كل فتى شهد من بني هاشم أن يخذ حديدة ويجلس كل واحد منهم إلى عظيم منكم، فإذا قلت: أبغي محمداً قتل كل واحد منهم الرجل الذي إلى جنبه،

فاكتشفوا عما في أيديكما يا بني هاشم فكشف بنو هاشم عما في أيديهم فنظرت قريش إلى ذلك فعندها هابت قريش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أنشأ أبو طالب:

ألا أبلغ قريشاً حيث حلت * وكل سرائر منها غرور

(1) راجع الطرائف لسيدنا ابن طاووس: ص ٨٥ (ص ٣٠٣ ح ٣٨٩). (المؤلف)

الصفحة ٢٩

فإني والضوايح عاديات * (1) وما تتلو السفاصرة الشهور
لأل محمد راع حفيظ * وود الصدر مني والضمير
فلست بقاطع رحمي وولدي * ولو جرت مظالمها الجزور
أيا أمر جمعهم أبناء فهر * بقتل محمد والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفرت قريش * ولا أمت رشاداً إذ تشير
بني أخي ونوط القلب مني * وأبيض ماؤه غدق كثير
ويشرب بعده الولدان رياً * وأحمد قد تضمنه القبور
أيا بن الأنف أنف بني قصي * (3) كأن جبينك القمر المنير

لفت نظر: قال شيخنا العلامة المجلسي في البحار: (31 / 9) (4) روى جامع الديوان - يعني ديوان أبي طالب - نحو هذا الخبر مرسلًا ثم ذكر الأشعار هكذا...

فذكر الأشعار وفيها زيادة عشرين بيتاً على ما ذكر، وهي لا توجد في الديوان المطبوع لسيدنا أبي طالب.

لفظ ثالث :

وقال السيد فخار بن معد في كتابه الحجة (5) ص ٦١): وأخبرني الشيخ الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد ابن الجوزي المحدث البغدادي - وكان ممن يرى كفر أبي طالب ويعتقده - بواسط العراق سنة إحدى وتسعين وخمسائة بإسناد له إلى الواقدي،

(1) في تاج العروس: ٣ / ٢٧٢: فإني والسوايح كل يوم. وفي ص ٣٢٠: فإني والضوايح كل يوم. (المؤلف)

(2) السفاصرة: أصحاب الأسفار وهي الكتب. الشهور: العلماء جمع الشهر. كذا فسر البيت كما في تاج العروس: ٣ / ٢٧٢ ن ٣٢٠. (المؤلف)

(3) الأنف: السيد. (المؤلف)

(4) بحار الأنوار: ٣٥: ١٤٩ ح ٨٥.

(5) الحجة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٥٤ .

الصفحة ٣٠

قال: كان أبو طالب بن عبد المطلب لا يغييب صباح النبي ولا مساءه، ويحرسه من أعدائه ويخاف أن يغتالوه فلما كان ذات يوم فقدته فلم يره وجاء المساء فلم يره وأصبح الصباح فطلبه في مظانه فلم يجده فلزم أحشاءه وقال: واولداه، وجمع عبيده ومن يلزمه في نفسه فقال لهم: إن محمداً قد فقدته في أمسنا ويومنا هذا ولا أظن إلا أن قريشاً قد اغتالته وكادته وقد بقي هذا الوجه ما جنته، وبعيد أن يكون فيه واختار من عبيده عشرين رجلاً، فقال: امضوا

وأعدوا سكاكين وليمض كل رجل منكم وليجلس إلى جنب سيد من سادات قريش، فان أتيت ومحمد معي فلا تحدثن أمراً وكونوا على رسلكم حتى أفق عليكم، وإن جئت وما محمد معي فليضرب كل منكم الرجل الذي إلى جانبه من سادات قريش. فمضوا وشحذوا سكاكينهم حتى رضوها، ومضى أبو طالب في الوجه الذي أراده ومعه رهطه من قومه فوجده في أسفل مكة قائماً يصلى إلى جنب صخرة فوقه عليه وقبله وأخذ بيده وقال: يا بن أخ قد كدت أن تأتي على قومك، سر معي، فأخذ بيده وجاء إلى المسجد وقريش في ناديهم جلوس عند الكعبة، فلما رأوه قد جاء ويده في يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمد إن له لشأناً، فلما وقف عليهم والغضب في وجهه قال لعبيده: أبرزوا ما في أيديكم فأبرز كل واحد منهم ما في يده. فلما رأوا السكاكين قالوا: ما هذا يا أبا طالب؟ قال: ما ترون؛ إني طلبت محمداً فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم، فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم: إن جئت وليس محمد معي فليضرب كل منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولا يستأذني فيه، ولو كان هاشمياً، فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟ فقال: أي ورب هذه وأومى إلى الكعبة، فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وكان من أحلافه: لقد كدت تأتي على قومك؟ قال هو ذلك. ومضى به وهو يقول:

إذهب بني فما عليك غضاضة * إذهب وقر بذاك منك عيوننا

الصفحة ٣١

والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفيننا
ودعوتني وعملت أنك ناصحي * ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وذكرت ديناً لا محالة أنه * من خير أديان البرية ديننا (1)

فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والاستعطاف وهو لا يحفل بهم ولا يلتفت إليهم.

قال الأميني: هذا شيخ الأبطح يروقه أن يضحى كل قومه دون نبي الإسلام وقد تاهب لأن يطأ القوميات كلها والأواصر المتشجة بينه وبين قريش بأخصم الدين، فحياها الله من عاطفة إلهية، وأصرة دينية هي فوق أواصر الرحم.

6- أبو طالب في بدء الدعوة :

لما نزلت: (وأنذر عشيرتكَ الأقربين). (2) (خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصعد على الصفا فهتف: يا صباحاه. فاجتمعوا إليه، فقال: "أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدقي؟" قالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد". فقال أبو لهب: تباً لك، أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم أحضر قومه في داره، فبادره وقال: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصبابة (3) واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأن أحق من أخذك فحبسك بنو أبيك، وإن أقممت ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن ينب لك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشر مما جئتهم به. فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتكلم .

(1) راجع ما اسلفناه: ص ٣٣٤. (المؤلف)

(2) مر حديثها في الجزء الثاني: ص ٢٧٨. (المؤلف)

(3) الصبابة: الخروج من دين إلى دين آخر. (المؤلف)

الصفحة ٣٢

ثم دعاهم ثانية وقال: «الحمد لله أحمدته وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنما الجنة أبداً والنار أبداً.»

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير أنني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب. (1)

قال الأميني: لم يكن دين عبد المطلب سلام الله عليه إلا دين التوحيد والإيمان بالله ورسله وكتبه غير مشوب بشيء من الوثنية، وهو الذي كان يقول في وصياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة. إلى أن هلك ظلوم لم تصبه عقوبة. فقيل له في ذلك، ففكر في ذلك، فقال: والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بأساته، وهو الذي قال لأبرهة: إن لهذا البيت رباً يدب عنه ويحفظه، وقال وقد سعد أبا قبيس:

لاهم إن المرء يم * نع حله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبيهم * ومحالهم عدوا محالك
فأنصر على آل الصليب * ب وعابديه اليوم آلك
إن كنت تاركهم وكع * بيتنا فمر ما بدا لك (2)

(1) الكامل لابن الأثير: ٢ / ٢٤ (١ / ٤٨٦). (المؤلف)

(2) الملل والنحل للشهرستاني هامش الفصل: ٣ / ٢٢٤ (٢ / ٢٤٩)، الدرج المنيفة للسيوطي: ص ١٥ مسالك الحنفاء: ص ٣٧. (المؤلف)

الصفحة ٣٣

ويعرب عن تقدمه في الإيمان الخالص والتوحيد الصحيح انتماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه ومباهاته به يوم حنين بقوله:

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب (1)

وقد أجاد الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في قوله:

تنقل أحمد نوراً عظيماً تلالاً * في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً قرناً * إلى أن جاء خير المرسلينا

وهذا هو الذي أراده أبو طالب - سلام الله عليه - بقوله: نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب. وهو صريح بقية كلامه، وقد أراد بهذا السياق التعمية على الحضور لئلا يصابوه العدا بمفارقتهم، وهذا السياق من الكلام من سنن العرب في محاوراتهم، قد يريدون به التعمية، وقد يراد به التأكيد للمعنى المقصود كقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ولو لم يكن لسيدنا أبي طلب إلا موقفه هذا لكفى بمفرده في إيمانه الثابت، وإسلامه القويم، وثباته في المبدأ.

قال ابن الأثير: (3) فقال أبو لهب: هذه والله السوء (4)، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا. وفي السيرة الحلبية: (1 / 304) (5) إن الدعوة كانت في دار أبي طالب.

(1) طبقات ابن سعد طبع مصر رقم التسلسل ص ٦٦٥ (٢ / ١٥١)، تاريخ الطبري: (٣ / ٧٦) حوادث سنة ٨هـ. (المؤلف)

(2) مسالك الحنفاء للسيوطي: ص ٤٠، الدرج المنيفة ص ١٤. (المؤلف)

(3) الكامل في التاريخ: ١ / ٤٨٧.

(4) في المصدر: السواة.

(5) السيرة الحلبية: ١ / ٢٨٥.

الصفحة ٣٤

قال عقيل بن أبي طالب: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي كعبتنا وفي ديارنا ويسمعنا ما نكره، فإن رأيت أن تكفه عنا فافعل. فقال لي: يا عقيل التمس لي ابن عمك. فأخرجته من كبس (1) من كباس أبي طالب. فجاء يمشي معي يطلب الفيء يطأ فيه لا يقدر عليه، حتى انتهى إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي والله لقد كنت لي مطيعاً جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديتهم فتؤذيهم وتسمعهم ما يكرهون، فإن رأيت أن تكف عنهم. فحلق بصره إلى السماء وقال: والله ما أنا بقادر أن أرد ما بعثني به ربي، ولو أن يشعل أحدهم من هذه الشمس ناراً. فقال أبو طالب: والله ما كذب قط، فارجعوا راشدين.

قال الأميني: هكذا أخرجه البخاري في تاريخه (2) بإسناد رجاله كلهم ثقات، وبهذا اللفظ ذكره المحب الطبري في ذخائر العقبى (ص ٢٢٣). غير أن ابن كثير لما رأى لكلمة: راشدين. قيمة في إيمان بي طالب حذفها في تاريخه (3 / 42) (3) حيا الله الأمانة!

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى (1 / 171) (4) حديث الدعوة عن علي وفيه: «ثم قال لهم صلى الله عليه وآله وسلم: من يؤازرني علي ما أنا عليه ويجيبني على أن يكون أخي وله الجنة؟ فقلت: أنا يا رسول الله، وإنني لأحدثهم سنأ، وأحمشهم ساقاً. وسكت القوم، ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك؟ قال: دعوه فلن يألو (5) ابن عمه خيراً.»

وروى أبو عمرو الزاهد الطبري عن تغلب عن ابن الأعرابي أنه قال في لغة - العور - إنه الردي من كل شيء قال: ومن العور ما في رواية ابن عباس. ثم ذكر

(1) الكبس: البيت الصغير. (٢) التاريخ الكبير: ٧ / ٥٠ رقم ٢٣٠. (٣) البداية والنهاية: ٣ / ٥٥. (٤) الطبقات الكبرى: ١ / ١٨٧. (٥) يألو: يقصر. (المؤلف).

الصفحة ٣٥

حديث علي عليه السلام بطوله إلى أن قال: قال «فلما أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتكلم اعترضه أبو لهب، فتكلم بكلمات وقال: قوموا فقاموا وانصرفوا. قال: فلما كان من الغد أمرني فصنعت مثل ذلك الطعام والشراب ودعوتهم فأقبلوا ودخلوا فأكلوا وشربوا، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتكلم فاعترضه أبو لهب فقال له أبو طالب: اسكت يا أعور ما أنت وهذا؟ ثم قال: لا يقوم أحد. قال: فجلسوا ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: قم يا سيدي فتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك فإنك الصادق المصدق.»

وإلى هذا الحديث وكلمة أبي طالب - اسكت يا أعور ما أنت وهذا؟ - وقع الإيعاز في النهاية لابن الأثير (3 / 1) (1) (156) والفائق للزمخشري (2 / 98) (2) نقلاً عن ابن الأعرابي، وفي لسان العرب (6 / 294) (3)، تاج العروس (٣ / ٤٢٨).

قال الأميني: أي كافر ظاهر هذا سلام الله عليه وهو يدافع عن الإسلام المقدس بكل حوله وطوله، ويسلق رجال قومه بلسان حديد، ويحض النبي الأعظم على الدعوة وتبليغ رسالته عن ربه، ويراه الصادق المصدق؟.

7- قول أبي طالب لعلي: إلزم ابن عمك :

قال ابن إسحاق: ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن با طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: «اي عم هذا

(1)النهاية: ٣ / ٣١٩ .

(2)الفائق: ٣ / ٣٧ .

(3)لسان العرب: ٩ / ٤٦٩ .

الصفحة ٣٦

دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم.»

وذكروا أنه قال لعلي: اي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: «يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته» فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير، فالزمه. وفي لفظ عن علي: إنه لما أسلم قال له أبو طالب: إلزم ابن عمك. سيرة ابن هشام (١ / ٢٦٥)، تاريخ الطبري (٢ / ٢١٤)، تفسير الثعلبي، عيون الأثر (١ / ٩٤) الإصابة (٤ / ١١٦)، أسنى المطالب (ص ١٠). (1)

وفي شرح ابن أبي الحديد: (3 / 314) (2)روي عن علي قال: قال أبي: يا بني إلزم ابن عمك فإنك تسلم به من كل بأس عاجل وأجل. ثم قال لي:

إن الوثيقة في لزوم محمد * فاشدد بصحبته على أيدىكا

فقال: ومن شعره المناسب لهذا قوله:

إن علياً وجعفرأ ثقتي * عند ملم الزمان والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما * أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا * يخذله من بني ذو حسب

وهذه الأبيات الثلاثة توجد في ديوان أبي طالب (3) أيضاً (ص 36) وذكرها العسكري كتاب الأوائل (4) قال: إن أبا طالب مر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه جعفر فرأى

(1)السيرة النبوية: ١ / ٢٦٣، تاريخ الأمم والملوك: ٢ / ٣١٣، عيون الأثر: ١ / ١٢٥، أسنى المطالب: ص ١٧ .

(2)شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧٥ كتاب ٩ .

(3)ديوان أبي طالب: ص ٩٤ - ٩٥ .

(4)الأوائل: ص ٧٥ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي وعلي معه، فقال لجعفر: يا بني صل جناح ابن عمك. فقام إلى جنب علي، فأحس النبي فتقدمهما، وأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا، فانصرف أبو طالب مسروراً وأنشأ يقول:

إن علياً وجعفرأ ثقتي * عن ملم الزمان والنوب

وذكر أبياتاً يذكرها ابن أبي الحديد ومنها:

نحن وهذا النبي ننصره * نضرب عنه الأعداء كالشهب

وأخرج أبو بكر الشيرازي في تفسيره: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أنزل عليه الوحي أتى المسجد الحرام وقام يصلي فيه، فاجتاز به علي عليه السلام وكان ابن تسع سنين فناده: يا علي إلي أقبل. فأقبل إليه مليباً فقال له النبي: «إني رسول الله إليك خاصة وإلى الخلق عامة فقف عن يميني وصل معي». فقال: «يا رسول الله حتى أمضي وأستأذن أبا طالب والدي»؛ فقل له: «أذهب فإنه سيأذن لك»، فانطلق إليه يستأذنه في اتباعه، فقال: يا ولدي تعلم أن محمداً أمين الله منذ كان، إمض إليه وأتبعه ترشد وتفلح. فأتى علي عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يصلي في المسجد، فقام عن يمينه يصلي معه، فاجتاز أبو طالب بهما وهما يصليان فقال: يا محمد ما تصنع؟ قال: «أعبد إله السموات والأرض ومعى أخي علي يعبد ما أعبد وأنا ادعوك إلى عبادة الواحد القهار» فضحك أبو طالب حتى بدت نواجذه وأنشأ يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أغيب في التراب دفيناً

إلى آخر الأبيات التي أسلفناها (ص ٣٣٤).

8- قول أبي طالب: صل جناح ابن عمك :

أخرج ابن الأثير: أن أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً يصليان وعلي علي

بيمينه، فقال لجعفر رضي الله تعالى عنه: صل جناح ابن عمك، وصل عن يساره، وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه علي بقليل. وقال أبو طالب:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد * وكن مظهراً للدين وفقت صابراً
وحط من أتى بالحق من عند ربه * بصدق وعزم لا تكن حمز كافراً
فقد سرنى إذ قلت إنك مؤمن * فكن لرسول الله في الله ناصراً
وباد قريشاً بالذي قد أتيت به * جهاراً وقل ما كان أحمد ساحراً

أسد الغابة (1 / 287) (1)، شرح ابن أبي الحديد (3 / 315) (2)، الإصابة (٤ / ١١٦)، السيرة الحلبية (1) (3) (286 /، أسنى المطالب (4) ص ٦) وقال: قال البرزنجي: تواترت الأخبار أن أبا طالب كان يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه ويصدقه فيما يقوله؛ ويأمر أولاده كجعفر وعلي باتباعه ونصرته.

وقال في (ص ١٠): قال البرزنجي: هذه الأخبار كلها صريحة في أن قلبه طافح وممتلئ بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

9- أبو طالب وحنوه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

قال أبو جعفر محمد بن حبيب رحمه الله في أماليه: كان أبو طالب إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً يبكي ويقول: إذا رأيته ذكرت أخي، وكان عبد الله أخاه لابويه، وكان شديد الحب والحنو عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحب له، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من

(1) أسد الغابة: ١ / ٣٤١ رقم ٧٥٩.

(2) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧٦ كتاب ٩.

(3) السيرة الحلبية: ١ / ٢٦٩.

(4) أسنى المطالب: ص ١٠ و ١٧.

الصفحة ٣٩

منامه ويضع ابنه علياً مكانه، فقال له علي ليلة: «يا أبت إني مقتول»، فقال له:

أصبرن يا بني فالصبر أحجى * كل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد * لفداء لحبيب وأبن الحبيب
لفداء الأغر ذي الحسب الثا * قب والباع والكريم النجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى * (1) فمصيب منها وغير مصيب
كل حي وإن تملى بعمر * (2) أخذ من مذاقها بنصيب

فأجاب علي بقوله:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد * والله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني أحببت أن ترى نصرتي * وتعلم أنني لم أزل لك طائعا
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد * نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعا

وذكره ابن أبي الحديد (3) نقلاً عن الأمالي (٣ / ٣١٠) وهناك تصحيف في البيت الثاني والثالث من أبيات أبي طالب صححناه من طبقات السيد على خان الناقل عن شرح ابن أبي الحديد المخطوط، وذكر القصة أبو علي الموضح العمري العلوي كما في كتابه الحجة (4) ص ٦٩).

قل الأميني: إن القرابة والرحم تبعثان إلى المحاماة إلى حد محدود، لكنه إذا بلغت حد التضحية بولد كأبير المؤمنين هو أحب العالمين إلى والده، فهناك يقف التفاني

(1) في بعض المصادر: تترى (المؤلف).

(2) في المصادر مخطوطة عتيقة: كل حي وإن تناول عمرا. (المؤلف)

(3) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٦٤ كتاب ٩.

(4) الحجة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٧٥.

الصفحة ٤٠

على موقفه، فلا يستسهل الوالد أن يعرض ابنه على القتل كل ليلة فينبهه على فراش المفدى، ويستعوض منه ابن أخيه، إلا أن يكون مندفعاً إلى ذلك بدافع ديني وهو معنى اعتناق أبي طالب للدين الحنيف، وهو الذي تعطيه المحاوراة الشعرية بين الوالد والولد فتري الولد يصارح بالنبوة، فلا ينكر عليه الوالد بأن هذا التهالك ليس إلا بدافع قومي، غير فاتر عن حض ابنه على ما يبتغيه من النصر ولا متثبط عن النهوض بها بسلام الله على والد وما ولد .

10- أبو طالب وابن الزبيرى :

قال القرطبي في تفسيره (1) ص ٤٠٦): روى أهل السير قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي، فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل لعنه الله: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلته؟ فقام ابن الزبيرى فأخذ فرثاً ودماً فطخ به وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانفتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلته، ثم أتى أبا طالب عمه فقال: «يا عم ألا ترى إلى ما فعل بي؟» فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عبد الله بن الزبيرى». فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون؛ فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل لجلته بسيفي ففقدوا حتى دنا إليهم، فقال: يا بني من الفاعل بك هذا؟ فقال: «عبد الله بن الزبيرى»؛ فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم، وأساء لهم القول.

حديث موقف أبي طالب هذا يوجد في غير واحد من كتب القوم وقد لعبت به أيدي الهوى، وسنوقفك إن شاء الله على حق القول فيه تحت عنوان: أبو طالب في الذكر الحكيم. (2)

(1)الجامع لأحكام القرآن: ٦ / ٢١٦ .

(2)الغدِير: ٨ / ١١ - ٣٦ .

الصفحة ٤١

11- سيدنا أبو طالب وقريش :

قال ابن إسحاق: لما بآدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه بالإسلام، وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه، فيما بلغني، حتى ذكر آلهتهم وعابها. فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافة وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون، وحدث (1) على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمر الله مظهراً لأمره، لا يرده عنه شيء.

وقال: إن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: يا ابن أخي إن قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قد بدا لعنه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته». قال: ثم استعير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم فيكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا بن أخي. قال: فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإسلامه وإجماعه لفرأهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا با ابا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذ فلك عقله ونصره، واتخذ ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك، هذا الذي قد خالفك دينك ودين آبائك

(1) حدب: عطف عليه ومنع له. (المؤلف)

الصفحة ٤٢

وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنم هو رجل برجل، قال: والله لبئس ما تسومونني؛ أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً. قال: فقال المطعم بن عدي بن نوفل: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً، فقال أبو طالب لمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك أو كما قال.

قال: فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتناذب القوم، وبادى بعضهم بعضاً، فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويعم من خذله من عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش؛ ويذكر ما سأله وما تباعد من أمرهم:

- (1) ألا قل لعمرو والوليد ومطعم * ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
- (2) من الخور حجاب كثير رغاؤه * يرش على الساقين من بوله قطر
- (3) تخلف خلف الورد ليس بلاحق * إذا ما عل الفيفاء قيل له وبر
- أرى أخويننا من أبينا وأمنا * إذا سئلا قالوا إلى غيرنا الأمر
- (4) بلى لهما أمر ولكن تجرجما * كما جرجمت من رأس ذي علق صخر
- أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً * هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
- هما أغمزا للقوم في أخويهما * فقد أصبحا منهم أكفهما صفر
- هما اشركا في المجد من لا ابالة * من الناس إلا ان يرش له ذكره (5)

(1) البكر: الفتى من الإبل. (المؤلف)

(2) الخور جمع أخور: الضعيف. حجاب بالمهملتين: القصير. ويروى بالجيمين المعجمتين: الكثير الكلام. ويروى بالخاء المعجمة ومعناه: الضعيف. (المؤلف)

(3) الفيفاء: الأرض القفر. وبر: دويبة على قدر الهرة. (المؤلف)

(4) تجرجما: سقطا وانحدرا، يقال: تجرجم الشيء إذا سقط. ذو علق: جبل في ديار بني أسد. (المؤلف)

(5) يرش له ذكر ذكره خفيفاً. رس الحديث: حدث به في خفاء. (المؤلف)

الصفحة ٤٣

- (1) وتيم ومخزوم وزهرة منهم * وكانوا لنا مولى إذا بني النصر
- (2) فوالله لا تنفك منا عداوة * ولا منهم ما كان من نسلنا شفر
- فقد سفهت أحلامهم وعقولهم * وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أذع فيهما.

قال الأميني: حذف ابن هشام منها ثلاثة أبيات لا تخفى على أي أحد غايته الوحيدة فيه، وإن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره، ألا وهي:

وما ذاك إلا سودد خصنا به * إله العباد واصطفانا له الفخر
رجال تمالوا حاسدين وبغضة * لأهل العلى فيبينهم أبدأ وتر
وليد أبوه كان عبداً لجدنا * إلى علجة زرقاء جال بها السحر

يريد به الوليد بن المغيرة وكان من المستهزئين بالنبي الأعمم ومن الذين مشوا إلى أبي طالب عليه السلام في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد نزل قوله تعالى: ذرني ومن خلقت وحيدا (3) (وكان يسمى: الوحيد في قومه. (4).

ثم قام أبو طالب - حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون - في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه، وأجابوه ما دعاهم، إليه، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله الملعون.

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره في جهدهم معه وحدهم عليه؛ جعل يمدحهم ويذكر قديمهم؛ ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم، ومكانه منهم، ليشد لهم

(1) في سيرة ابن هشام: ١ / ٢٨٧: إذ بغي النصر.

(2) شفر. أحد. يقال: ما بالدار شفر، أي ما بها أحد. (المؤلف)

(3) المدثر: ١١.

(4) الروض الأنف: ١ / ١٧٣ (٣ / ٦٢)، تفسير البيضاوي: ٢ / ٥٦٢ (٢ / ٥٤٢)، الكشاف: ٣ / ٤ / 230 / 647، تاريخ ابن كثير: ٤ / ٤٤٣ (٣ / ٧٨) تفسير الخازن: ٤ / ٣٤٥ (٤). (328) المؤلف

الصفحة ٤٤

رأيهم، وليجدبوا معه على أمره؛ فقال:

- (1) إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر * فعبد منافٍ سرها وصميمها
- فإن حصلت أشراف عيد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها
- وإن فخرت يوماً فإن محمداً * هو المصطفى من سرها وكريمها
- تداعت قريش غثها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت حلومها (2)
- وكنا قديماً لا نقر ظلاماً * إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها (3)
- ونحني حماها كل يوم كريمة * ونضرب عن أحجارها من يرومها
- بنا انتعش العود الذواء وإنما * بأكنافنا تندى وتنمى أرومها (4)

سيرة ابن هشام (١ / ٢٧٥ - ٢٨٣)، طبقات ابن سعد (١ / ١٨٦)، تاريخ الطبري (٢ / ٢١٨)، ديوان أبي طالب (ص ٢٤)، الروض الأنف (١ / ١٧١، ١٧٢)، شرح ابن أبي الحديد (٣ / ٣٠٦)، تاريخ ابن كثير (٢ / ١٢٦، ٢٥٨، ٣ / ٤٢، ٤٨، ٤٩)، عيون الأثر (١ / ٩٩، ١٠٠)، تاريخ أي الفداء (١ / ١١٧)، السيرة الحلبية (١ / ٣٠٦)، أسنى المطالب (ص ١٥) فقال: هذه الابيات من غرر مدائح أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الدالة على تصديقه اياه، طلبه الطالب (ص ٥ - ٩). (5)

(1) سرها وصميمها: خالصها وكريمها. قال: فلان من سر قومه. أي: من خيارهم ولبابهم وأشرفهم. (المؤلف)

(2) طاشت حلومها: ذهبت عقولها. (المؤلف)

(3) ثنوا: عطفوا. صعر جمع أصعر: المائل. يقال: صعر خده. أي أماله الى جهة كما يفعل المتكبر. (المؤلف)

(4) انتعش: ظهرت فيه الخضرة. الذواء: اليباس. الأكناف: النواحي. الأرومة: الأصل. المؤلف)

(5) السيرة النبوية: ١ / ٢٨٢ - ٢٨٨، الطبقات الكبرى: ١ / ٢٠٢، تاريخ الأمم والملوك 322 / 2 :- ٣٢٨، ديوان أبي طالب: ص ٧٢، الروض الأنف: ٣ / ٤٨٨، شرح نهج البلاغة 53 / 14 :- ٥٥ كتاب ٩، البداية والنهاية: ٢ / ١٤٨، ٣١٧، ج ٣ / ٥٦، ٦٤، ٦٥، عيون الأثر: ١ / ١٣١ - ١٣٣، السيرة الحلبية: ١ / ٢٨٧، أسنى المطالب: ص ٢٨ .

الصفحة ٤٥

12- سيد الأباطح وصحيفة قريش :

اجتمع قريش وتشاوروا أن يكتبوا كتاباً تعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يتبايعوا، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للقتل، ويخلوا بينهم وبينه، وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة، أو بخط بغيض بن عامر، أو بخط النضر ابن الحرث، أو بخط هشام بن عمرو، أو بخط طلحة بن أبي طلحة، أو بخط منصور ابن عبد، وعلقوا منها صحيفة في الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة، وكان اجتماعهم بخيف بني كنانة وهو المحصب، فانحاز بنو هشام وبني المطلب إلى أبي طالب ودخلوا معه في الشعب إلا أبا لهب فكان مع قريش، فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين، وإنهم جهدوا في الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط (1) وورق الشجر.

قال ابن كثير: كان أبو طالب مدة إقامتهم بالشعب يأمره صلى الله عليه وآله وسلم فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شراً وغائلة، فإذا نام الناس أمر أحد بنيهم أو إخوانه أو بني عمه أن يضطجع على فراش المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ويأمر هو أن يأتي بغض فرشهم فيرفد عليها.

ثم إن الله تعالى أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الأرضة أكلت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمه أبا طالب بذلك، فقال: يا ابن أخي أربك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: والثواقب ما كذبتني قط. فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى أتوا لمسجد، فأنكر قريش ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال أبو طالب:

(1) الخبط: الورق المتساقط من الشجر .

الصفحة ٤٦

يا معشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم، فأتوا بها، لعل أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها وهم لا يشكون أن أبا طالب يدفع إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فوضعوها بينهم وقيل أن تفتح قالوا لأبي طالب: قد أن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم، فقال: أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم، إن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - أن الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها إلا اسم الله فقط، فإن كان كما يقول فأيقوا عما أنتم عليه، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا. ون كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتم أو استحبيبتهم! فقالوا: رضينا. ففتحوها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم. فقالوا: هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغياً وعدواناً.

وإن أبا طالب قال لهم بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم: علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة؟ ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال: اللهم انصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، وساتحل ما يحرم عليه منا.

وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة فقال ابو طالب:

ألا هل أتى بحرينا (1) صنع ربنا * على نأيهم والله بالناس أروء (2)
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت * وأن كل ما لم يرضه الله مفسد

تراوحها إفك وسحر مجمع * ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيا بقرقر * فطائرها في رأسها يتردد (3)

(1) يريد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر. (المؤلف)

(2) أروود: أرفق. (المؤلف)

(3) القرقر: اللين السهل. وقال السهيلي: من ليس فيها بقرقر: أي ليس بذليل وطائرها: أي حظها من الشؤم
والشر، وفي التنزيل (ألزمانه طائره في عنقه) (الإسراء). 13: المؤلف)

الصفحة ٤٧

وكانت كفاءً وقعة بأثيمة * ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظعن أهل المكتين فيهربوا * فرائصهم من خشية الشر ترعد
ويترك حراك يقلب أمره * أيتهم فيها عند ذاك وينجد (1)
وتصعد بين الاخشبين كتيبة * لها حدج سهم وقوس ومرهد (2)
فمن ينش من حضار مكة عزه * فعرتنا في بطن مكة أتلد (3)
نشأنا بها والناس فيها قلائل * فلم تنفك نزداد خيراً ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم * إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد (4)
جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا * (5) على ملا يهدي لحزم ويرشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم * مقاوله (6) بل هم أعز وأمجد
أعان عليها كل صقر كأنه * إذا ما مشى في رفرع الدرع أحرد (7)
ألا إن خير الناس نفساً ووالداً * إذا عد سادات البرية أحمد
نبي الإله والكريم بأصله * وأخلاقه وهو الرشيد المؤيد
جريء على جلى الخطوب كأنه * شهاب بكفي قابس يتوقد (8)

(1) الحرائث: المكتسب. يتهم: يأتي تهامة. ينجد: يأتي نجداً. (المؤلف)

(2) الأخشبان: جبلان بمكة. المرهد: الرمح للين. (المؤلف)

(3) ينش: أي ينشأ بحذف الهمزة على غير قياس. أتلد: أقدم. (المؤلف)

(4) المفيضين: الضاربون بقداح الميسر. يريد سلام الله عليه: أنهم يطعمون إذا بجل الناس. (المؤلف)

(5) في سيرة ابن هشام: تبايعوا. والمقصود بهم الأشخاص الذين سعوا في نقض الصحيفة التي تعاهدت فيها
قريش على مقاطعة بني هاشم.

(6) المقاوله: الملوك. (المؤلف)

(7) رفرع الدرع: ما فضل منها. أحرد: بطيء المشي لثقل الدرع. (المؤلف)

(8) وفي رواية:

حزيم على جل الأمور كأنه * شهاب بكفي قابس يتوقد

(المؤلف)

من الأكرمين من لؤي بن غالب * إذا سيم خسفاً وجهه يتريد (1)
 طويل النجاد (2) خارج نصف ساقه * على وجهه يسقى الغمام ويسعد
 عظيم الرماد سيد ابن سيد * يحض على مقرى الضيوف ويحشد
 ويبنى لأبناء العشيرة صالحاً * إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
 أظ (3) بهذا الصلح كل مبراً * عظيم اللواء أمره ثم يحمد
 قضا ما قضا في ليلهم ثم اصبحوا * على مهل وسائر الناس رقد
 هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً * وسر أبو بكر بها ومحمد (4)
 متى شرك الأقوام في جل أمرنا * وكنا قديماً قبلها نتودد
 وكنا قديماً لا نفر ظلاماً * وندرك ما شئنا ولا نتشدد
 فيال قصي هل لكم في نفوسكم * وهل لكم فيها يجيء به غد
 فاني وإياكم كما قل قائل * لديك البيان لو تكلمت أسود (5)

طبقات ابن سعد (١ / ١٧٣، ١٩٢)، سيرة ابن هشام (٥١ / ٣٩٩ - ٤٠٤)، عيون الاخبار لابن قتيبة (٢ / ١٥١)،
 تاريخ اليعقوبي (٢ / ٢٢)، الاستيعاب ترجمة سهل بن بيضاء (٢ / ٥٧٠)، صفة الصفوة (١ / ٣٥)، الروض
 الانف (١ / ٣٣١) خزانة الأدب للبغدادي (١ / ٢٥٢)، تاريخ ابن كثير (٣ / ٨٤، ٩٥ / ٩٧)، عيون الأثر (١ /
 ١٢٧)،

(1) سيم - بالبناء للمجهول - : كلف. الخسف: الذل. يتريد: يتغير إلى السواد. (المؤلف)

(2) النجاد: حمائل السيف. (المؤلف)

(3) أظ: ألح ولزم. (المؤلف)

(4) ذكر الشطر الثاني في الديوان هكذا: وسر إمام العالمين محمد. وسهل بن بيضاء صحابي أسلم بمكة وأخفى
 إسلامه، وهو الذي مشى إلى نفر الذين قاموا في شأن الصحيفة، حتى اجتمع له منهم عدة تبرروا منها وأنكروها.

(5) أسود: جبل، قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول: لديك البيان لو تكلمت أسود. فذهب مثلاً. توجد
 في ديوان أبي طالب (ص ٤٦ و ٩٦) أبيات من هذه القصيدة غير ما ذكر لم نجد في غيره. (المؤلف)

الخصائص الكبرى (١ / ١٥١)، ديوان ابي طالب (ص ١٣)، السيرة الحلبية (١ / ٣٥٧ - ٣٦٧)، سيرة زيني
 دحلان هامش الحلبية (١ / ٢٨٦ - ٢٩٠)، طلبة الطالب (ص ٩، ١٥، ٤٤)، أسنى المطالب (ص ١١ - ١٣). (1)

وذكر ابن الأثير قصة الصحيفة في الكامل (2 / 36) (2) فقال: قال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما
 فيها من ظلم وقطيعة رحم أبياتاً، منها:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة * متى ما يخبر غائب القوم يعجب
 محا الله منها كفرهم وعقوقهم * وما نعموا من ناطق الحق معرب
 فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً * ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب

13- وصية ابي طالب عند موته :

عن الكلبي قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش أنتم صفوة الله
 من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، الواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب
 في المائر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركنتموه، فلکم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة،

والناس لكم حرب وعلى حربكم إلب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعني الكعبة - فإن فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، واتركوا

(1) الطبقات الكبرى: ١ / ١٨٨، ٢٠٨، السيرة النبوية: ٢ / ١٤ - ١٩، تاريخ يعقوبي: ٢ / 31، الاستيعاب: القسم الثاني / ٦٦٠ رقم ١٠٨٠، صفة لصفوة: ١ / ٩٨ رقم ١، الروض الأنف: ٣ / ٣٤١، خزنة الأدب: ٢ / ٥٧، البداية والنهاية: ٣ / ١٠٦، ١٢١، ١٢٢، عيون الأثر: ١ / ١٦٥، الخصائص الكبرى: ٢٤٩١، ديوان أبي طالب: ٤٥ - ٤٦، السيرة الحلبية ١ / 337 - ٣٤٥، السيرة النبوية: ١ / ١٣٧، أسنى المطالب: ص ١٩ - ٢٢.

(2) الكامل في التاريخ: ١ / ٥٠٤ - ٥٠٧.

الصفحة ٥٠

البغي والعقوق ففيها هلكة القرون قبلكم، أجبوا داعي، وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإن فيهما محبة في الخاص، ومكرمة في العام.

وإني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأنني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوتهم، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أوجههم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصفت له فؤادها، وأعطته قيادها، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاةً ولخزبه حماةً، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة، وفي اجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي.

الروض الأنف (١ / ٢٥٩)، المواهب (١ / ٧٢)، تاريخ الخميس (١ / ٣٣٩)، ثمرات الأوراق هامش المستطرف (٢ / ٩)، بلوغ الأرب (١ / ٣٢٧)، السيرة الحلبية (١ / ٣٧٥) السيرة لزيني دحلان هامش الحلبية (١ / ٩٣)، أسنى المطالب (ص ١٠٥) (1).

قل الأمين: في هذه الوصية الطافحة بالإيمان والرشاد دلالة واضحة على أنه صلى الله عليه وآله وسلم إنما أرجأ تصديقه باللسان إلى هذه الأونة التي ينس فيها من الحياة حذراً شناً قومه المستتبع لانتقاله عنه، المؤدي إلى ضعف المنة (2) وتفكك القوى، فلا يتسنى له حينئذ الذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن الإيمان به مستقراً في الجنان من

(1) الروض الأنف: ٤ / ٣٠، المواهب اللدنية: ١ / ٢٦٥، تاريخ الخميس: ١ / ٣٠٠، ثمرات الأوراق: ص ٢٩٤، السيرة الحلبية: ١ / ٣٥٢، السيرة النبوية: ١ / ٤٥، أسنى المطالب: ص 11.

(2) المنة: القوة.

الصفحة ٥١

أول يومه، لكنه لما شعر بأزوف الأجل وفوات الغاية المذكورة أبدى ما أجنته أضالعه (1) فأوصى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم بوصيته الخالدة.

14- وصية أبي طالب ليني أبيه :

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى: (2) أن أبا طالب حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد، وما اتبعتم أمره، فاتبعوه وعينوه وترشدوا.

وفي لفظ: يا معشر بني هاشم أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا.

وتوجد هذه الوصية (3) في تذكرة السبط (ص 5)، الخصائص الكبرى (1 / 87)، السيرة الحلبية (1 / 372)، (375)، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية (1 / 92)، (293)، أسنى المطالب (ص 10). ورأى البرزنجي هذا الحديث دليلاً على إيمان أبي طالب ونعما هو، قال: قلت: جدا أن يعرف أن الرشاد في اتباعه ويأمر غيره بذلك ثم يتركه هو.

قال الأميني: ليس في العقل السليم مسأغ للقول بأن هذه المواقف كلها لم تنبعث عن خضوع أبي طالب للدين الحنيف وتصديقه للصادق به صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فماذا الذي كان يجذوه إلى مخاشنة قريش ومقاساة الأذى منهم وتعكير الصفو من حياته لا سيما أيام كان هو والصفوة من فئته في الشعب، فلا حياة هنيئة، ولا عيش رغداً، ولا أمن بطمأن به، ولا خطر مدروءاً، يتحمل الجفاء والقطيعة والقسوة المؤلمة من قومه، فماذا

(1) أجنه: أخفاء وستره.

(2) الطبقات الكبرى: 1 / 123.

(3) تذكرة الخواص: ص 8، الخصائص الكبرى: 1 / 147، السيرة الحلبية: 1 / 352، السيرة النبوية: 1 / 45 و 140، أسنى المطالب: ص 17.

الصفحة ٥٢

الذي أقدمه على هذه كلها؟ وماذا الذي حصره وحبسه في الشعب عدة سنين تجاه أمر لا يقول بصدقه ولا يخبت إلى حقيقته؟ لاها الله لم يكن كل ذلك إلا عن إيمان ثابت، وتصديق وتسليم وإعان بما جاء به نبي الإسلام، يظهر ذلك للقارئ المستشف لجزئيات كل من هذه القصص، ولم تكن القرابة والقومية بمفردها تدعوه إلى مقاساة تلك المشاق كما لم تدع أبا لهب أخاه، وهب أن القرابة تدعوه إلى الذب عنه صلى الله عليه وآله وسلم لكنها لا تدعوا إلى المصارحة بتصديقه وأن ما جاء به حق، وأنه نبي كموسى خط في أول الكتب، وأن من اقتنص اثره فهو المهتدي، وأن الضال من ازور عنه وتخلف، إلى أمثل ذلك من مصارحات قالها بملء فمه، ودعا إليه صلى الله عليه وآله وسلم فيها بأعلى هتافه.

15- حديث عن أبي طالب :

ذكر ابن حجر في الإصابة (4 / 116) من طريق إسحاق بن عيسى الهاشمي عن أبي رافع قال: سمعت أبا طالب يقول: سمعت ابن أخي محمد بن عبد الله يقول: إن ربه بعثه بصلوة الأرحام وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره ومحمد الصدوق الأمين.

وذكره السيد زيني دحلان في أسنى المطالب (1) ص 6) وقال: أخرج الخطيب، وأخرجه السيد فخار بن معد في كتاب الحجّة (2) ص 26) من طريق الحافظ أبي نعيم الإصبهاني، وبإسناد آخر من طريق أبي الفرج الإصبهاني، وروى الشيخ إبراهيم الحنبلي في نهاية الطلب عن عروة الثقفي قال: سمعت أبا طالب رضي الله عنه يقول: حدثني بن أخي الصادق الأمين وكان والله صدوقاً: إن ربه أرسله بصلوة الأرحام، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وكان يقول: اشكر ترزق، ولا تكفر تعذب.

(1) أسنى المطالب: ص 15.

- ٣ -

ما يروي عنه آله وذووه
من طرق العامة فحسب

أما رجال آل هاشم، وأبناء عبد المطلب، وولد أبي طالب، فلم يؤثر عنهم إلا الهتاف بايمانه الثابت، وأن ما كان يؤثره في نصرته النبي الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم كان منبعثاً عن تدين بما صدع به صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت أدرى بما فيه.

قال ابن الأثير في جامع الأصول: وما أسلم من أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام. انتهى.

نعم: هتفوا بذلك في أجيالهم وأدوارهم بملء الأفواه وبكل صراحة وجبهوا من خالفهم في ذلك.

إذا قالت حذام فصدقوها * فإن القول ما قالت حذام

1- قال ابن أبي الحديد في شرحه: (3 / 312) (1) روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: إن أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. والخبر مشهور أن أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفياً، فأصغى إليه أخوه العباس (2)، وروي عن علي عليه السلام أنه قال: «ما مات

(1) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧١ كتاب ٩.

(2) راجع سيرة بن هشام: ٢ / ٢٧ (٢ / ٥٩)، دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٣٤٦)، تاريخ ابن كثير: ٣ / ١٢٣ (٣ / ١٥٢)، عيون الأثر لأبن سيد الناس: ١ / ١٣١ (١ / ١٧٣)، الإصابة: ٤ / ١١٦ (رقم ٦٨٥)، المواهب اللدنية: ١ / ٧١ (١ / ٢٦٢)، السيرة الحلبية: ١ (350 / 1) 372، السيرة الدحلانية هامش الحلبية: ١ / ٨٩ (السيرة النبوية: ١ / ٤٤)، أسنى المطالب: ص ٢٠ (ص ٣٥). (المؤلف)

أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه الرضا."

وذكر أبو الفداء والشعراني عن ابن عباس: أن أبا طالب لما أشد مرضه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عم قلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة يعني الشهادة، فقال له أبو طالب: يا بن أخي لولا مخافة السببة وأن تظن قريش إنما قتلها جزعاً من الموت لقلتها. فلما تقارب من أبي طالب الموت جعل يحرك شفثيه فأصغى إليه العباس بإذنه وقال: والله يا بن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي هدانا الله. (1)

وقال السيد أحمد زيني دحلان في السيرة الحلبية: (94 / 1) (2) نقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الإمام الشعراني والسبكي وجماعة أن ذلك الحديث - أعني حديث العباس - ثبت عند بعض أهل الكشف وصح عندهم سلامه.

قال الأميني: ذكرنا هذا الحديث مجارة للقوم وإلا فما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عند الموت إلى التلفظ بتينك الكلمتين اللتين كرس حياته الثمينة للهتاف بمفادهما في شعره ونشره، والدعوة إليهما، والذب عن صدع بهما،

ومعاناة الأهوال دونهما حتى يومه الأخير. ما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عندئذ إلى التقوه بها كأمر مستجد، فمتى كفر هو؟ ومتى ضل؟ حتى يؤمن ويهتدي بهما، أليس من الشهادة قوله الذي أسلفناه (ص ٣٣١).

ليعلم خير الناس أن محمداً * وزير لموسى والمسيح ابن مريم
أنا بهدي مثل ما أتيا به * فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وإنكم تتلونه في كتابكم * بصدق حديثٍ لا حديثٍ مبرجم

(1) تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٢٠، كشف للشعراني: ٢ / ١٤٤. (المؤلف)

(2) السيرة النبوية: ١ / ٤٦.

الصفحة ٥٥

وقوله في (ص ٣٣٢):

أمين حبيب في العباد مسوم * بخاتم رب قاهر في الخواتم
نبي أتاه الوحي من عند ربه * ومن قال لا يقرع بها سن نادم

وقوله في (ص ٣٣٢):

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً * رسولاً كموسى خط في أول الكتب

وقوله في (ص ٣٣٤):

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي * ولقد دعوت وكننت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

وقوله في (ص ٣٣٥):

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب * على نبي كموسى أو كذي النون

وقوله في (ص ٣٣٧):

نصرت الرسول رسول الملوك * ببيض تلالاً كلعع البروق
أذب وأحمي رسول الله * حماية حام عليه شفيق

وقوله في (ص ٣٤٠):

فأيده رب العباد بنصره * وأظهر ديناً حقه غير باطل
وقوله في (ص ٣٥٦):

الصفحة ٥٦

والله لا أخذل لنبي ولا * يخذله من بني ذو حسب
نحن وهذا النبي ننصره * نضرب عنه الأعداء بالشهب

وقوله في (ص ٣٤٥):

أتبغون قتلاً للنبي محمد * خصصتم على شؤم بطول أثم

وقوله في (ص ٣٥٧):

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد * وكن مظهراً للدين وفقت صابراً
وحط من أتى بالحق من عند ربه * بصدق وعزم لا تكن حمز كافراً
فقد سرنى إذ قلت إنك مؤمن * فكن لرسول الله في الله ناصراً

وقوله وقد رواه أبو الفرج الأصبهاني:

زعمت قريش أن أحمد ساحر * كذبوا ورب الراقصات إلى الحرم (1)
ما زلت أعرفه بصدق حديثه * وهو الأمين على الحرائب والحرم

وقوله المروي من طريق أبي الفرج الإصبهاني كما في كتاب الحجة (2) (ص ٧٢) ومن طريق الحسن بن محمد بن جرير كما في تفسير أبي الفتوح. (4 / 212) (3)

قل لمن كان من كنانة في العز * وأهل الندى وأهل المعالي
قد أتاكم من المليك رسول * فاقبلوه بصالح الأعمال
وانصروا أحمداً فإن من الل * ه رداءً عليه غير مدال

وقوله من أبيات في شرح ابن أبي الحديد: (3 / 315) (4)

(1) أراد بالراقصات إلى الحر الإبل الراكضات. رقص الجمل إذا ركض. (المؤلف)

(2) الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٨١.

(3) تفسير أبي الفتوح: ٤٧٣ / ٨.

(4) شرح نهج البلاغة: ٤ / ٧٨ كتاب ٩.

الصفحة ٥٧

فخير بني هاشم أحمد * رسول الإله على فترة (1)
ولو كان يؤثر أقل من هذا عن أحد من الصحابة لطبل له، وزمر من يتشبث بالطحلب في سرد الفضائل لبعضهم
مغالاةً فيهم، لكني أجد إسلام أبي طالب مستعصياً فهمه على هؤلاء ولو صرخ بألف هتاف من ضرائب هذه.
لماذا؟ أنا لا أدري!

2- أخرج ابن سعد في طبقاته (1 / 105) (2) عن عبيد الله بن بي رافع عن علي قال: أخبرت رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم بموت أبي طالب، فبكى ثم قال: اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه.

وفي لفظ الواقدي: فبكى بكاءً شديداً ثم قال: اذهب فاغسله. إلخ. وأخرجه (3) ابن عساكر كما في أسنى المطالب
(ص ٢١)، والبيهقي في دلائل النبوة، وذكره سبط ابن الجوزي في التذكرة (ص ٦) وابن أبي الحديد في شرحه
(٣ / ٣١٤)، والحلي في السيرة (١ / ٣٧٣)، والسيد زيني دحلان في هامش السيرة الحلبية (١ / ٩٠)،
والبرزنجي في نجات أبي طالب وصححه كما في أسنى المطالب (ص ٣٥) وقال: أخرجه أيضاً أبو داود، وابن
الجارود، وابن خزيمة وقال: إنما ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشي في جنازته أتقاءً من شر سفهاء
قريش. وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنائز يومئذ.

(1) اشار إلى قوله تعالى: قد جاءكم رسولنا بيبين لكم على فترة من الرسل { (المائدة: ١٩) وتوجد الأبيات في كتاب الحجة للسيد فخار: ص ٧٤ { ص } . {283 المؤلف}

(2) الطبقات الكبرى: ١ / ١٢٣ .

(3) مختصر تاريخ مدينة دمشق: ٢٩ / ٣٢ أسنى المطالب: ص ٣٨، دلائل النبوة: ٢ / ٣٤٨، تذكرة الخواص: ص ٨، شرح نهج البلاغة ١٤ / ٧٦ كتاب ٩، السيرة الحلبية: ١ / ٣٥١، السيرة النبوية: ١ / ٤٤، أسنى المطالب: ص ٦٢ .

الصفحة ٥٨

عن السلمي وغيره: توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين نبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وتوفيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيام فاجتمع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليها وعلى عمه حزن شديد حتى سمي ذلك العام عام الحزن.

طبقات ابن سعد (١ / ١٠٦)، الامتاع للمقريزي (ص ٢٧)، تاريخ ابن كثير (٣ / ١٣٤)، السيرة الحلبية (١ / ٣٧٣)، السيرة لزيني دحلان هامش الحلبية (١ / ٢٩١)، أسنى المطالب (ص ١١). (1)

لفت نظر: عين ابن سعد لوفاة بي طالب يوم النصف من شوال كما سمعت، وقال أبو الفداء في تاريخه (١ / ١٢٠) توفي في شوال، وأوعز القسطلاني في المواهب (1 / 71) (2) موته في شوال إلى لقيط، وقال المقريزي في الإمتاع (ص ٢٧): توفي أول ذي القعدة وقيل: النصف من شوال، وقال الزرقاني في شرح المواهب (١ / ٢٩١): مات بعد خروجهم من الشعب في ثامن عشر رمضان سنة عشر، وفي الاستيعاب: خرجوا من الشعب في أول سنة خمسين وتوفي أبو طالب بعده بستة أشهر فتكون وفاته في رجب. انتهى. وهذا الاختلاف موجود في تأليف الشيعة أيضاً.

3- أخرج البيهقي عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاد من جنازة أبي طالب فقال: «وصلتك رحم، وجزيت خيراً يا عم» وفي لفظ الخطيب: عارض النبي جنازة أبي طالب فقال: «وصلتك رحم، جزاك الله خيراً يا عم.»

دلائل النبوة للبيهقي، تاريخ الخطيب البغدادي (١٣ / ١٩٦)، تاريخ ابن كثير

(1) الطبقات الكبرى: ١ / ١٢٥، البداية والنهاية: ٣ / ١٥٦، السيرة الحلبية: ١ / ٣٤٦، السيرة النبوية: ١ / ١٣٩، أسنى المطالب: ص ١٤، ٢٠.

(2) المواهب اللدنية: ١ / ٢٦٢ .

الصفحة ٥٩

(125 / 3)، تذكرة السبط (ص ٦)، نهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنفي كما في الطرائف (ص 86)، الإصابة (٤ / ١١٦)، شرح شواهد المغني (ص ١٣٦). (1)

وقال اليعقوبي في تاريخه: (2 / 26) (2) لما قيل لرسول الله: إن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات، ثم قال: «يا عم ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم، وجزيت خيراً.»

4. عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال: قال العباس: يا رسول الله أترجو لأبي طالب؟ قال: «كل الخير أرجو من ربي.»

أخرجه ابن سعد في الطبقات (106 / 1) (3) بسند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحاح وهم: عفان بن مسلم، وحماد بن سلمة، وثابت البنائي (4)، وإسحاق ابن عبد الله.

وأخرجه ابن عساكر (5) كما في الخصائص الكبرى (87 / 1) (6)، والفتحة الحنفي

(1) دلائل النبوة 2 / 349، البداية والنهاية: 3 / 105، تذكرة الخواص: ص 8، الطرائف: ص 305 ح 393، شرح شواهد المغني: 1 / 397 رقم 197.

(2) تاريخ يعقوبي: 2 / 35.

(3) الطبقات الكبرى: 1 / 124.

(4) في الخصائص الكبرى: البنائي، كذا ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى: 7 / 232، والذهبي في سير أعلام النبلاء: 5 / 220، وفي تذكرة الحفاظ: 1 / 125.

(5) مختصر تاريخ مدينة دمشق: 29 / 32.

(6) الخصائص الكبرى: 1 / 147.

الصفحة 60

الشيخ إبراهيم الدينوري في نهاية الطلب كما في الطرائف (1) ص 68، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه (2) (311 / 3)، والسيوطي في التعظيم والمنة (ص 7) نقلاً عن ابن سعد.

5- وعن أنس بن مالك قال: أتى أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بغير يئط، ولا صبي يصطيح (3)، ثم أنشد:

أتيناك والعذراء يدمي لبانها * وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الصبي استكانة * من الجوع ضعفاً ما يمر ولا يحلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل (4)
وليس لنا إلا إليك فرارنا * وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «اللهم سقنا غيثاً مغيثاً سحاً طبقة غير رائث، تنبت به الزرع وتملأ به الضرع، وتحيي به الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون.»

فما استتم الدعاء حتى التقت السماء بروقها؛ فجاء أهل البطانة يضحون: يا رسول الله الغرق، فقال: «حوالينا ولا علينا.» فانجاب السحاب عن المدينة كالإكليل، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه وقال: «الله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه، من الذي ينشدنا شعره؟ فقال علي بن أبي طالب كرم الله

(1) الطرائف: ص 305 ح 394.

(2) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٦٨ كتاب ٩.

(3) أظت الإبل: أنت تعباً أو حنيناً. يصطبج: يشرب اللبن صباحاً.

(4) العهز: وبر الإبل يخط بالدم ثم يشوى بالنار، وكان أهل الجاهلية يتخذونه طعاماً في سني المجاعة. الفسل: الحفير الذي لا قيمة له.

الصفحة ٦١

وجهه: يا رسول الله كأنك ردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال: أجل فأنشده أبياتاً من القصيدة ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر، ثم قام رجل من كنانة وانشد:

لك الحمد والحمد ممن شكر * سقيناً بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة * وأشخص معها إليه البصر
فلم يك إلا كالقاء الردا * وأسرع حتى رأينا الدرر
دفاق العزالي جم البعاق * (1) أغاث به الله عليا مضر
فكان كما قاله عمه * أبو طالب أبيض ذو (2) غرر
به الله يسقي صيوب الغمام * وهذا العيان لذاك الخبر

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن يك شاعراً يحسن فقد حسنت.»

أعلام النبوة للموردي (ص ٧٧)؛ بدائع الصنائع (١ / ٢٨٣)، شرح ابن أبي الحديد (٣ / 316)، السيرة الحلبية، عمدة القاري (٣ / ٤٣٥)، شرح شواهد المغني للسيوطي (ص ١٣٦)، سيرة زيني دحلان (١ / ٨٧)، أسنى المطالب (ص ١٥)، طلبية الطالب (ص ٤٣). (3)

قال البرزنجي كما في أسنى المطالب: فقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «شده در أبي طالب»

(1) راجع ص ٤ من الجزء الثاني من هذا الكتاب. (المؤلف)

(2) كذا في المصدر بالواو وحقه النصب بالألف لأنه خبر (كان).

(3) أعلام النبوة: ص ١٣٠، شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٨١ كتاب ٩، السيرة الحلبية: 116١ / ، عمدة القاري: ٧ / ٣١، شرح شواهد المغني: ١ / ٣٩٨ رقم ١٩٧، السيرة النبوية: 43١ / ، أسنى المطالب: ص ٢٦ .

الصفحة ٦٢

يشهد له بأنه لو رأى النبي وهو يستسقى على المنبر لسره ذلك، ولقرت عيناه، فهذا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهادة لأبي طالب بعد موته أنه كان يفرح بكلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقر عينه بها، وما ذلك إلا لسر وفر في قلبه من تصديقه بنبوته وعلمه بكلماته. انتهى.

قال الأميني: وذكر جمع هذا الحديث في استسقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحذف منه كلمة: «شده در أبي طالب». وأنت أعرف مني بالغاية المتوخاة في هذا التحريف، ولا يفوتنا عرفانها.

6- قال ابن أبي الحديد في شرحه: (316 / 3) (1) ورد في السير والمغازي أن عتبة ابن ربيعة أو شيبه لما قطع رجل أبي عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر أشبل (2) عليه علي وحمزة فاستنقذه منه وخطبا عتبة بسيفهما حتى قتلاه، واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش فألقياه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن مخ ساقه ليسيل، فقال: يا رسول الله لو كان أبو طالب حياً لعلم أنه قد صدق في قوله:

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً * ولما نطاعن دونه وناضل
ونصره حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبائنا والحلائل

فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استغفر له ولأبي طالب يومئذٍ.

7- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعقيل بن أبي طالب: «يا أبا يزيد إني أحبك حبين حباً لقرابتك مني، وحباً لما كنت أعلم من حب عمي أبي طالب إياك.»

(1) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٨٠ كتاب ٩.

(2) أشبل: عطف .

الصفحة ٦٣

أخرجه (1) أبو عمر في الاستيعاب (٢ / ٥٠٩)، والبغوي، والطبراني كما في ذخائر العقبى (ص ٢٢٢)، وتاريخ الخميس (١ / ١٦٣)؛ وعماد الدين يحيى العامري في بهجة المحافل (١ / ٣٢٧)، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه (٣ / ٣١٢) وقال: قالوا: اشتهر واستفاض هذا الحديث، والهيتمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٧٣) وقال: رجاله ثقات.

هذا شاهد صدق على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتقد إيمان عمه، وإلا فما قيمة حب كافر لأي أحد حتى يكون سبباً لحبه صلى الله عليه وآله وسلم أولاده؟

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا لعقيل كان بعد إسلامه كما نص عليه الامام العامري في بهجة المحافل وقال: وفيها إسلام عقيل بن أبي طالب الهاشمي، ولما أسلم قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا يزيد. إلى آخره.

وقل جمال الدين الاشخر اليميني في شرح البهجة عند شرح لحديث: ومن شأن المحب محبة حبيب الحبيب.

ألا تعجب من حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا طالب إن لم يك معتقاً لدينه - العياذ بالله - ومن إعرابه عنه بعد وفاته. ومن حبه عقياً لحب أبيه إياه؟ ٨ - أخرج أبو نعيم (2) وغيره عن ابن عباس وغيره قالوا: كان أبو طالب يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً لا يحب أولاده مثله، ويقدمه على أولاده؛ ولذا كان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرجه معه حين يخرج .

(1) الاستيعاب: القسم الثالث / ١٠٧٨ رقم ١٨٣٤، المعجم الكبير: ١٧ / ١٩١ ح ٥١٠، شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧٠ كتاب ٩.

(2) دلائل النبوة: ١ / ٢٠٩ و ٢١٢ .

الصفحة ٦٤

ولما مات أبو طالب نالت قريش منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيته والتراب على رأسه؛ فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها: «يا بنية لا تبكي فإن الله مانع أباك، ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب. (1)»

وفي لفظ: «ما زالت قريش كاعين - أي جنباء - حتى مات أبو طالب.»

وفي لفظ: «ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب.»

تاريخ الطبري (٢ / ٢٢٩)، تاريخ بن عساكر (١ / ٢٨٤)، مستدرک الحاكم (٢ / ٦٢٢)، تاريخ ابن كثير (٣ / ١٢٢، ١٣٤)، الصفوة لابن الجوزي (١ / ٢١)، الفائق للزمخشري (٢ / ٢١٣)، تاريخ الخميس (١ / ٢٥٣)، السيرة الحلبية (١ / ٣٧٥)، فتح الباري (٧ / ١٥٣، ١٥٤)، شرح شواهد المغني (ص ١٣٦) نقلاً عن البيهقي، أسنى المطالب (ص ١١، ٢١)، طلبة الطالب (ص ٤/٥٤).

9- عن عبد الله قال: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر إلى القتلى وهم مصرعون قال لأبي بكر: «لو أن أبا طالب حي لعلم أن أسيفنا قد أخذت بالأمان» يعني قول أبي طالب:

كذبتم وبيت الله إن جد ما أرى * لتلتبس أسيفنا بالأمان

(1) تاريخ الأمم والملوك: ٢ / ٣٤٤، مختصر تاريخ دمشق: ٢٩ / ٣٣، المستدرک على الصحيحين: ٢ / ٦٧٩ ح ٤٢٤٣، البداية والنهاية: ٣ / ١٠٦ و ١٥١، صفة الصفوة ١ / ٦٦ و 105 رقم ١، الفائق: ٣ / ٢٩٠، السيرة الحلبية: ١ / ٣٥٣، فتح الباري: ٧ / ١٩٤، شرح شواهد المغني: ١ / ٣٩٧ رقم ١٩٧، دلائل النبوة: ٢ / ٣٥٠، أسنى المطالب: ص ١٩ و ٣٨.

الأغاني (17 / 28) (1)، طلبة الطالب (ص ٣٨) نقلاً عن دلائل لإعجاز. (2).

10- أخرج الحافظ الكنجي في الكفاية (3 ص ٦٨): من طريق الحافظ ابن فنجويه عن ابن عباس في حديث مرفوعاً قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: لو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحد أحق منك لقدمتك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله، وصهرك وعندك فاطمة سيدة نساء المؤمنين وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب، أي حين نزل القرآن وأنا حريص أن أرعى ذلك في ولده بعده.

قال الأميني: إن شيئاً من مضامين هذه الأحاديث لا يتفق مع كفر أبي طالب، فهو صلى الله عليه وآله وسلم لا يأمر خليفته الإمام عليه السلام بتكفين كافر ولا تغسيله، ولا يستغفر له ولا يترحم عليه، كما في الحديث الثاني، ولا يجزيه خيراً كما في الحديث الثالث، ولا يرجو له بعض الخير - فضلاً عن كله - كما في الحديث الرابع، ولا يستدر له الخير كما في حديث الاستسقاء، ولا يستغفر له كما في الحديث السادس، ولا يحب عقياً لربه إياه؛ فإن الكفر يزرع المسلم عن بعض هذه، فكيف بكلها فضلاً عن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهو الصادق بقول الله العزيز: لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم. (4)

وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق. (5)

(2) دلائل الإعجاز: ص ١٥ .

(3) كفاية الطالب: ص ١٦٦ . وانظر الدر المنثور: ٨ / ٦٦١ .

(4) المجادلة: ٢٢ .

(5) الممتحنة: ١ .

الصفحة ٦٦

وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون . (1))

وقوله تعالى: ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء . (2) (إلى آيات أخرى .

الكلم الطيب :

أخرج تمام الرازي في فوائده؛ بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية.»

ذخائر العقبي (ص ٧)، الدرج المنيفة للسيوطي (ص ٧)، مسالك الحنفا (ص ١٤)، وقال فيه: أخرجه أبو نعيم وغيره وفيه التصريح بأن الأخ من الرضاة، فالطرق عدة يشد بعضها بعضاً؛ فإن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة طرقه، وأمثلها حديث ابن مسعود فإن الحاكم صححه.

وفي تاريخ اليعقوبي (26 / 2) (3) روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن الله عز وجل وعدني في أربعة: في أبي وأمي وعمي وأخ كان لي في الجاهلية.»

أخرج ابن الجوزي بإسناده عن علي عليه السلام مرفوعاً: «هبط جبرئيل عليه السلام علي فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك»، أما الصلب فعبد الله، وأما البطن فأمنة، وأما الحجر فعمه - يعني أبا طالب - .

(1) التوبة: ٢٣ .

(2) المائدة: ٨ .

(3) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٥ .

الصفحة ٦٧

وفاطمة بنت أسد . التعظيم والمنة للحافظ السيوطي (ص ٢٥) .

وفي شرح ابن أبي الحديد: (311 / 3) (1) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال لي جبرئيل: إن الله مشفعك في ستة: بطن حملتك أمنة بنت وهب، و صلب أنزلك عبد الله ابن عبد المطلب، وحجر كفلك أبو طالب، وبيت أوك عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية» إلى آخره .

رثاء أمير المؤمنين والده العظيم :

ذكر سبط ابن الجوزي في تذكرته (2ص ٦): أن علياً عليه السلام قال في رثاء أبي طالب:

أبا طالب عصمة المستجير * وغيث المحول ونور الظلم
لقد هد فقدك أهل الحفاظ * فصلى عليك ولي النعم
ولقائك ربك رضوانه * فقد كنت للطهر من خير عم

هذه الأبيات توجد في ديوان أبي طالب أيضاً (ص ٣٦)، وذكر أبو علي الموضح كما في كتاب الحجة (3ص ٢٤) للسيد فخار ابن معد المتوفى (٦٣٠)، وقال ابن أبي الحديد: قال أيضاً:

أرقت لطير آخر الليل غردا * يذكرني شجواً عظيماً مجددا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى * جواداً إذا ما أصدر الأمر أوردنا
فأمست قریش يفرحون بموته * ولست أرى حياً يكون مخلداً
أرادوا أموراً زينتها حلومهم * ستوردهم يوماً من الغي مورداً

(1) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٦٧ كتاب ٩.

(2) تذكرة الخواص: ص ٩.

(3) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٢٢.

الصفحة ٦٨

يرجون تكذيب النبي وقتله * وأن يفترى قدما عليه ويجحدا
كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم * صدور العوالي والحسام المهندا
فإما تبيدوننا وإما نبيدكم * وإما تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلا فإن الحي دون محمد * بني هاشم خير البرية محتدا (1)

هذه الأبيات توجد في الديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مع تغيير يسير وزيادة وإليك نصها:

أرقت لنوح آخر الليل غردا * يذكرني شجواً عظيماً مجدداً
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى * وذا الحلم لا خلفاً ولم يك قعددا
أخا ملك خلى ثلمة سيدسها * بنو هاشم أو يستباح فيهمدا
فأمست قریش يفرحون بفقده * ولست أرى حياً لشيء مخلدا
أرادت أموراً زينتها حلومهم * ستوردهم يوماً من الغي موردا
يرجون تكذيب النبي وقتله * وأن يفترى بهتاً عليه ويجحدا
كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم * صدور العوالي والصفوح المهندا
ويبدو منا منظر ذو كرية * إذا ما تسربلنا الحديد المسردا
فإما تبيدوننا وإما نبيدكم * وإما تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلا فإن الحي دون محمد * بنو هاشم خير البرية محتدا
وإن له فيكم من الله ناصراً * ولست بلاقٍ صاحب الله أوحدا
نبي أتى من كل وحي بحظه * فسماه ربي في الكتاب محمدا
أغر كضوء البدر صورة وجهه * جلا الغيم عنه ضوءه فتوقدا
أمن على ما استودع الله قلبه * وإن كان قولاً كان فيه مسددا

(1) هذه الأبيات لم نعثر عليها في شرح ابن أبي الحديد، وهي موجودة بتمامها في تذكرة الخواص: ص ٩.

كلمة الإمام السجاد :

قال ابن أبي الحديد في شرحه : (3 / 312) (1) روي أن علي بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا - يعني عن إيمان أبي طالب - فقال: «واعجبا إن الله تعالى نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ولم تنزل تحت أبي طالب حتى مات.»

كلمة الإمام الباقر :

سئل عليه السلام عما يقول الناس إن أبا طالب في ضحضاح من نار فقال: «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة لأخرى لرجح إيمانه» ثم قال: «ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله وابنه (2) وأبي طالب في حياته ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم.»

شرح ابن أبي الحديد . (3 / 311) (3)

كلمة الإمام الصادق :

روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر فأتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرتين.» شرح ابن أبي الحديد . (3 / 312) (4)

قال الأميني: هذا الحديث أخرجه ثمة الإسلام الكليني في أصول الكافي (5)

(1) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٦٩ و ٦٨ كتاب ٩ .

(2) كذا في الطبعة التي اعتمدها العلامة رحمه الله من شرح النهج، وفي الطبعة المحققة: وأبيه أبي طالب .

(3) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٦٨ كتاب ٩ .

(4) المصدر لسابق: ١٤ / ٧٠ كتاب ٩ .

(5) أصول الكافي: ١ / ٤٤٨ ح ٢٨ .

(ص ٢٤٤) عن الإمام الصادق غير مرفوع ولفظه: «إن مثل أبي طالب مثل اصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين.»

ويلفظ بن أبي الحديد ذكره السيد ابن معد في كتابه الحج (1) ص (٧) من طريق الحسين بن أحمد المالكي وزاد فيه: «وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة.»

كلمة الإمام الرضا :

كتب أبان بن محمد إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام: جعلت فداك إني قد شككت في إسلام أبي طالب .

فكتب إليه: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين. (2) (الآية، وبعدها «إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار» شرح ابن أبي الحديد. 3 / 311 (3)

قصارى القول في سيد الأبطح عند القوم :

إن كلاً من هذه العقود الذهبية بمفرده كافٍ في إثبات الغرض فكيف بمجموعها، ومن المقطوع به أن الأئمة من ولد أبي طالب عليه السلام أبصر الناس بحال أبيهم، وأنهم لم ينوهوا إلا بمحض الحقيقة، فإن العصمة فيهم رادعة عن غير ذلك، ولقد أجاد مفتي الشافعية بمكة المكرمة في أسنى المطالب، حيث قال (4) في (ص: 33)

هذا المسلك الذي سلكه العلامة محمد بن رسول البرزنجي في نجاة أبي

(1) الحجة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٨٤.

(2) النساء: ١١٥.

(3) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٦٨ كتاب ٩.

(4) أسنى المطالب: ص ٥٩ - ٦٠.

الصفحة ٧١

طالب لم يسبقه إليه أحد فجزاه الله أفضل الجزاء، ومسلكه هذا الذي سلكه يرتضيه كل من كان متصفاً بالإنصاف من أهل الإيمان، لأنه ليس فيه إبطال شيء من النصوص ولا تضعيف لها، وغاية ما فيه أنه حملها على معانٍ مستحسنة يزول بها الإشكال ويرتفع الجدل، ويحصل بذلك قرّة عين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والسلامة من الوقوع في تنقيص أبي طالب أو بغضه، فإن ذلك يؤدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال الله تعالى: إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً (1) (وقال تعالى): والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم. (2)

وقد ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في شرحه على الكتاب المسمى بشهاب الأخبار للعلامة محمد بن سلامة القضاعي المتوفى (٤٥٤): أن بغض أبي طالب كفر. ونص على ذلك أيضاً من أئمة المالكية العلامة علي الأجهوري في فتاويه، والتلمساني في حاشيته على الشفاء، فقال عند ذكر أبي طالب: لا ينبغي أن يذكر إلا بحماية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه حماه ونصره بقوله وفعله، وفي ذكره بمكروه أذية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم كافر، والكافر يقتل، وقال أبو طاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافر.

ومما يؤيد هذا التحقيق الذي حققه العلامة البرزنجي في نجاة أبي طالب أن كثيراً من العلماء المحققين وكثيراً من الأولياء العارفين ارباب الكشف قالوا بنجاة أبي طالب، منهم: القرطبي و السبكي والشعراني وخلانق كثيرون، وقالوا: هذا الذي نعتقده وندين الله به، وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذي سلكه البرزنجي، فقد أتفق معهم على القول بنجاته، فقول هؤلاء الأئمة بنجاته أسلم للعبد عند الله تعالى لا سيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التي أثبتتها العلامة البرزنجي. انتهى .

(1) الأحزاب: ٥٧.

(2) التوبة: ٦١.

وذكر السيد زيني دحلان في أسنى لمطالب (1) ص (٤٣) قال: والله در القائل:

قفا بمطلع سعد عز ناديه * وأملبا شرح شوقي في مغانيه
واستقبلا مطلع الأنوار في أفق الـ * حججون واحترسا أن تبهرا فيه
مغنى به وابل ارضوان منهمر * ونائرات الهدى دلت مناديه
قفا فذا بلبل الأفراح من طرب * يروي بديع المعاني في أماليه
واستملبا لأحاديث العجائب عن * بحر هناك بديع في معانيه
حامي الذمار مجير الجار من كرمته * منه السجابا فلم يفخر مباريه
عم النبي الذي لم يثنه حسد * عن نصره فتغالى في مرضيه
هو الذي لم يزل حصناً لحضرته * موفقاً لرسول الله بحميه
وكل خير ترجاه النبي له * وهو الذي قط ما خابت أمانيه
فيا من أم العلى في الخالدات غدا * أعت للهفانه واسعف مناديه
قد خصك الله بالمختار تكلؤه * وتستنز به فخرأ وتطريه
عنيت بالحب في طه ففزت به * ومن ينل حب طه فهو يكفيه
كم شمت آيات صدق يستضاء بها * وتملاً القلب إيماناً وترويه
من الذي فاز في الماضين أجمعهم * بمثل ما فزت من طه باريه
كفلت خير الورى في يتمه شغفاً * وبت بالروح والأبناء تقديه
عزضته حين عادته عشيرته * وكنت حائطه من بغي شانيه
نصرت من لم يشم الكون رائحة الـ * وجود لو لم يقدر كونه فيه
إن الذي قمت في تأييد شوكته * هو الذي لم يكن شيء يساويه
إن الذي أنت قد أحبيبت طلعتة * حبيب من كل شيء في أياديه
لله درك من قناص فرصته * مذ شمت برق الأمانى من نواحيه

(1) أسنى المطالب: ٧٧ - ٧٩ .

يهنيك فوزك أن قدمت منك يداً * إلى ملي وفي في جوازيه
من يسد أحسن معروف لأحسن من * جاز ينل فوق ما نلت مانيه
ومن سعى لسعيدي في مطالبه * فهو الحري بأن تحظى أماليه
فيا سعيد المساعي في متاجره * قد جنبت ربك أستهمي غواديه
مستمطراً منك مزن الخير معترفاً * بأن غرس المنى يعنى بصافيه

إلى آخره.

ثم قال (1) في (ص ٤٤) وقيل أيضاً:

إن القلوب لتبكي حين تسمع ما * أبدى أبو طالب في حق من عظما
فإن يكن أجمع الأعلام أن له * ناراً فله كل الكون يفعل ما (2)
أما إذا اختلفوا فالرأي أن نردا * موارداً يرتضيها عقل من سلما
نتابع المثبتى الإيمان من زمر * في معظم الدين تابعناهم فكما (3)
وهم عدول خيار في مقاصدهم * فلا نقل إنهم لن يبلغوا عظما
لا تزدريهم أندري من همو فهمو * همو عرى الدين قد أضحوا به زعما
هم السيوطي (4) والسبكي مع نفر * كعدة النقا حفاظ أهل حمى
وأهل كشف وشعرانيهم وكذا * القرطبي والسحيمي الجميع كما (5)

(1) أسنى المطالب: ص ٨١.

(2) أي يفعل ما يشاء. (المؤلف)

(3) أي كما تابعناهم في معظم الدين نتابعهم في هذا. (المؤلف)

(4) للسيوطي كتاب: بغية الطالب لإيمان أبي طالب وحسن خاتمته. توجد نسخته في مكتبة (قوله) بمصر ضمن مجموعة رقم ١٦، وهي بخط السيد محمود، فرغ من الكتابة: سنة ١١٠٥. راجع الذريعة لشيخنا الطهراني: ٢ / ٥١١. (المؤلف)

(5) أي كما ترى في الوثيقة. (المؤلف)

الصفحة ٧٤

- ٤ -

ما أسنده إليه من لاث به وبخع له

هؤلاء شيعة أهل البيت عليهم السلام لا يشك أحد منهم في إيمان أبي طالب عليه السلام ويروونه في أسمى مراقبه وعلى سهوته العليا أخذين ذلك بدأ عن يد حتى ينتهي الدور إلى الصحابة منهم والتابعين لهم بإحسان، ومذعنين في ذلك بنصوص أئمتهم عليهم السلام بعد ما ثبت عن جدهم الأقدس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال المعلم الأكبر شيخنا المفيد في أوائل المقالات (1) ص ٤٥): أتفقت الإمامية على ان آباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم إلى عبد الله مؤمنون بالله عز وجل موحدون. إلى أن قال: وأجمعوا على أن عمه ابا طالب مات مؤمناً، وأن أمنة بنت وهب كانت على التوحيد إلخ.

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في التبيان: (2 / 398) (2) عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليه السلام أن أبا طالب كان مسلماً، وعليه إجماع الإمامية لا يختلفون فيه، ولها على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم.

وقال شيخنا الطبرسي في مجمع البيان: (2 / 287) (3) قد ثبت إجماع أهل البيت على إيمان أبي طالب وإجماعهم حجة؛ لأنهم أحد الثقلين اللذين مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهما بقوله: «إن تمسكنم بهما لن تضلوا.»

وقال سيدنا ابن معد الفخار: لقد كان يكفينا من الاستدلال على إيمان أبي طالب عليه السلام إجماع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين وعلماء شيعتهم على إسلامه واتفاقهم على إيمانه، ولو لم يرد عنه من الأفعال التي لا يفعلها إلا المؤمنون،

(1) أوائل المقالات: ص ٥١.

(2) التبيان: ٨ / ١٦٤.

(3) مجمع البيان: ٤ / ٤٤٤.

الصفحة ٧٥

والأقوال التي لا يقولها إلا المسلمون، ما يشهد له بصحة الإسلام وتحقيق الإيمان، إذ كان إجماعهم حجة يعتمد عليها ودلالة يصمد ليها، كتاب الحجة (1) ص ١٣).

وقال شيخنا الفتال في روضة الواعظين (2) ص (١٢٠): أعلم أن الطائفة المحقة قد أجمعت على أن أبا طالب، وعبد الله بن عبد المطلب، وأمنة بنت وهب، كانوا مؤمنين وإجماعهم حجة.

وقال سيدنا الحجة ابن طاووس في الطرائف (3) ص (٨٤): إنني وجدت علماء هذه العترة مجمعين على إيمان أبي طالب. وقل (4) في ص: (87) لا ريب أن العترة أعرف بباطن أبي طالب من الأجانب، وشيعة أهل البيت عليهم السلام مجمعون على ذلك، ولهم فيه مصنفات، وما رأينا ولا سمعنا أن مسلماً أحوجا فيه إلى مثل ما أحوجا في إيمان أبي طالب، والذي نعرفه منهم أنهم يثبتون إيمان الكافر بأدنى سبب وبأدنى خبر واحد وبالتلويح، وقد بلغت عدواتهم لبني هاشم إلى إنكار إيمان أبي طالب مع ثبوت ذلك عليه بالحجج الثواقب، إن هذا من جملة العجائب.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: (311 / 3) (5) اختلف الناس في إيمان أبي طالب؛ فقالت الإمامية وأكثر الزيدية: ما مات إلا مسلماً، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك؛ منهم الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الإسكافي وغيرهما.

وقال العلامة المجلسي في البحار: (29 / 9) (6) قد أجمعت الشيعة على إسلامه وأنه

(1) الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٦٤.

(2) روضة الواعظين: ١ / ١٣٨.

(3) الطرائف: ص ٢٩٨.

(4) المصدر السابق: ص ٣٠٦.

(5) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٦٥ كتاب ٩.

(6) بحار الأنوار: ٣٥ / ١٣٨ ح ٨٤.

الصفحة ٧٦

قد آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أول الأمر، ولم يعبد صنماً قط بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام واشتهر إسلامه من مذهب الشيعة حتى إن المخالفين كلهم نسبوا ذلك إليهم وتواترت الأخبار من طرق الخاصة والعامّة في ذلك، وصنف كثير من علمائنا ومحدثينا كتاباً مفرداً (1) في ذلك كما لا يخفى على من تتبع كتب الرجال.

ومستند هذا الإجماعات إنما هو ما جاء به رجالات بيت الوحي في سيد الأبطح، وإليك أربعون حديثاً:

1- أخرج شيخنا أبو علي الفتال وغيره عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك، ويطن حملك، وحجر كفلك. فالصلب صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب، واليطن الذي حملك أمنة بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب». وزاد في رواية: «وفاطمة بنت أسد». (2) «وروضة الواعظين (3) ص ١٢١).

راجع (4) الكافي لثقة الإسلام الكليني (ص ٢٤٢)، معاني الأخبار للصدوق، كتاب الحجة للسيد فخار بن معد (ص ٨)، ورواه شيخنا المفسر الكبير أبو الفتوح الرازي في تفسيره (٤ / ٢١٠) ولفظه: «إن الله عز وجل حرم على النار صلماً أنزلك، وبطناً حملك، وتدياً أرضعك، وحجراً كفلك.»

2- عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم: «هبط علي جبرئيل فقال لي: يا محمد إن الله عز وجل مشفعك في ستة: بطن حملتك آمنة بنت وهب، و صلب

(1) ستوافيك عدة ممن أفرد لتأليف في إيمان أبي طالب عليه السلم. (المؤلف)

(2) راجع ما سلفناه: ص ٣٧٨. (المؤلف)

(3) روضة الواعظين: ١ / ١٣٩.

(4) أصول الكافي: ١ / ٤٤٦ ح ٢١، معاني الأخبار: ص ١٣٦ ح ١، الحجة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٤٨ تفسير بو الفتوح الرازي: ٨ / ٤٧٠.

الصفحة ٧٧

أنزلك عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك أبو طالب، وبيت آواك عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، وتدي رضعك حليلة بنت أبي ذؤيب.»

رواه السيد فخار بن معد في كتاب الحجة (1) ص ٨.

3- روى شيخنا المعلم الأكبر الشيخ المفيد بإسناد يرفعه قال: لما مات أبو طالب أتى أمير المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذنه بموته فتوجع توجعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً ثم قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «إمض يا علي فتول أمره، وتول غسله وتحنيطه وتكفينه؛ فإذا رفعته على سريريه فأعلمني.» ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فلما رفعه على السرير اعترضه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرق وتحزن، وقال: «وصلتكم رحم وجزيت خيراً يا عم، فلقد رببت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً»، ثم أقبل على الناس وقال: «أم والله لأشفعن لعمي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين.»

وفي لفظ شيخنا الصدوق: «يا عم كفلت يتيماً، ورببت صغيراً، ونصرت كبيراً فجزاك الله عني خيراً.» (2)

راجع: (3) تفسير علي بن إبراهيم (ص ٣٥٥)، أمالي ابن بابويه الصدوق، الفصول المختارة لسيدنا الشريف المرتضى (ص ٨٠)، الحجة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب (ص ٦٧)، بحار الأنوار (٩ / ١٥)، الدرجات الرفيعة لسيدنا الشيرازي، ضياء العالمين.

4- عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: (كل الخير أرجو من ربي عز وجل.)

(1) الحجة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب: ٤٨.

(2) راجع ما مر في صفحة: ٣٧٣. (المؤلف)

(3) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ١ / ٣٨٠، الأمالي: ص ٣٣٠، الفصول المختارة: ص ٢٢٨، الحجة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٦٥، بحار الأنوار: ٣٥ / ٦٨، الدرجات الرفيعة: ص ٦١.

كتاب الحجّة (1) ص ١٥، الدرجات الرفيعة (2) راجع ما أسلفناه (ص ٣٧٣).

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعقيل بن أبي طالب: «أنا أحبك يا عقيل حبين: حباً لك وحباً لأبي طالب لأنه كان يحبك» (3).

علل الشرع لشيخنا الصدوق، الحجّة (ص ٣٤)، بحار الأنوار (٩ / ١٦). (4)

6- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لو قمت المقام المحمود لشفعت في أبي وأمي وعمي وأخ {كان (5) لي مواخياً في الجاهلية». تفسير علي بن إبراهيم (ص ٣٥٥، ٤٩٠)، تفسير البرهان (3 / 6) (794) راجع ما أسلفناه في صفحة (٣٧٨).

7- عن الإمام السبط الحسين بن علي عن والده أمير المؤمنين أنه كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين إنك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذب في النار، فتقال له: «مه فض الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله، أبي معذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار؟ والذي بعث محمداً بالحق إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفى أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمد ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمة، ألا إن نوره من نورنا، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام.»

(1) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٧١.

(2) الدرجات الرفيعة: ص ٤٨.

(3) راجع ما أسلفناه: ص ٣٧٥. (المؤلف)

(4) علل الشرائع: ١ / ١٦٢، الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٧٩، بحار الأنوار: ٣٥ / ٧٥.

(5) من المصدر.

(6) تفسير علي بن إبراهيم: ٢ / ٢٥، ١٤٢، تفسير البرهان: ٣ / ٢٣.

المناقب المائة للشيخ أبي الحسن بن شاذان (1)، كنز الفوائد للكراكي (ص ٨٠)، أمالي ابن الشيخ (ص ١٩٢)، احتجاج الطبرسي كما في البحار، تفسير أبي الفتوح (٤ / ٢١١)، الحجّة (ص ١٥)، الدرجات الرفيعة، بحار الأنوار (٩ / ١٥)، ضياء العالمين، تفسير البرهان (٣ / ٧٩٤). (2)

8- عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: «والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط»: قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: «كانوا يصلون إلى لبيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به.»

رواه (3) شيخنا الصدوق بإسناده في كمال الدين (ص ١٠٤)، والشيخ أبو الفتوح في تفسيره (٤ / ٢١٠)، والسيد في البرهان (٣ / ٧٩٥).

9- عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: قال علي عليه السلام: «إن أبي حين حضره الموت شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرني عنه بشيء خير لي من الدنيا وما فيها.»

رواه بإسناده السيد فخار بن معد في كتاب الحجّة (4) ص ٢٣، وذكره الفتوني في ضياء العالمين.

10- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه الرضا» تفسير علي بن إبراهيم (ص ٣٥٥)، كتاب الحجّة (ص 23)، الدرجات

(1) محمد بن أحمد القمي الفامي أحد مشايخ شيخ الطائفة الطوسي والكراكي والكتاب مخطوط موجود عندنا.
(المؤلف)

(2) المناقب المائة: ص ١٦١، كنز الفوائد: ١ / ١٨٣، أمالي الطوسي: ص ٣٠٥ ح ٦١٢، الاحتجاج: ١ / ٥٤٦ ح ١٣٣، تفسير أبي الفتوح: ٨ / ٤٧١، الحجّة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٧٢، الدرجات الرفيعة: ص ٥٠، بحار الأنوار: ٣٥ / ٦٩، تفسير البرهان: ٣ / 231.

(3) كمال الدين: ص ١٧٤، تفسير أبي الفتوح: ٨ / ٤٧٠، تفسير البرهان: ٣ / ٢٣٢.

(4) الحجّة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ١١٢.

الصفحة ٨٠

الرفيعة، ضياء العالمين (1).

11- عن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين أنه قال: كان أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتفم إيمانه مخافةً على بني هاشم أن تنابذها قريش. قال أبو علي الموضح: ولأمير المؤمنين في أبيه يرثيه:

أبا طالب المستجير * وغيث المحول ونور الظلم
لقد هد فقدك أهل الحفاظ * فصلى عليك ولي النعم
ولقائك ربك رضوانه * فقد كنت للمصطفى خير عم (2)

كتاب الحجّة (3) ص ٢٤).

12- عن الأصبغ بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً وكانوا يسمونها الفهيرة ويذبحونها على النصف فلم يسلم عليهم، فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيم أبي طالب فلا يسلم علينا، فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبد الله بن الزبير السهمي: أنا أفعل؛ فأخذ الفرث والدم، فأنتهى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجد فملاً به ثيابه ومظاهره، فانصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتى عمه أبا طالب فقال: «يا عم من أنا؟» فقال: ولم يا بن أخي؟ فقص عليه القصة فقال: وأين تركتهم؟ فقال: «بالأبطح» فنأدى في قومه: يا آل عبد المطلب يا آل هاشم يا آل عبد مناف، فأقبلوا إليه من كل مكان ملبيين، فقال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون، قال: خذوا سلاحكم فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم انتهى إلى أولئك النفر، فلما رأوه أراودوا أن يتفرقوا، فقال

(1) تفسير علي بن إبراهيم: ١ / ٣٨٠، الحجّة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٠٨.

(2) راجع ما أسلفناه: ص ٣٧٨. (المؤلف)

(3) الحجّة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٢٢.

الصفحة ٨١

لهم: ورب هذه البنية لا يقوم منكم أحد إلا جللته بالسيف. ثم أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلاثة أفعال (1) ثم قال: يا محمد سألتني من أنت؟ ثم أنشأ يقول ويومي بيده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أنت النبي محمد * قرم أعز مسود

إلى آخر ما مر في (ص ٣٣٦) ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى عبد الله بن الزبير السهمي الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجاً أنفه حتى أدماها. ثم امر بالفرت والدم فأمر على رؤوس الملائكة ثم قال: يا بن أخ أفضيت؟ ثم قال: سألتني من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه إلى آدم عليه السلام ثم قال: أنت والله أشرفهم حسباً، وأرفعهم منصباً، يا معشر قريش من شاء منكم أن يتحرك فليفعل؛ أنا الذي تعرفوني. (2)

رواه (3) السيد ابن معد في الحجة (ص ١٠٦)، وذكر لدة هذه القضية الصفوري في نزهة المجلس (٢ / ١٢٢) وفي طبع (ص ٩١)، وابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف (ص ٢ / ٣) نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبي.

13- ذكر ابن فياض في كتابه شرح الأخبار: أن علياً عليه السلام قال في حديث له: إن أبا طالب هجم على وعلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن ساجدان فقال: أفعلتماها؟ ثم خذ بيدي فقال: انظر كيف تنصره وجعل يرغبني في ذلك ويخصني عليه. الحديث.

راجع ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف الفتوني .

(1) ثلاثة أفعال: ثلاث قطع منها تملأ الكف. (المؤلف)

(2) راجع ما أسلفناه: ص ٣٥٩، ويأتي في الجزء الثامن في الآيات ما يؤيد هذه القصة. (المؤلف)

(3) الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٣٤٦، نزهة المجالس: ٢ / ٩١، ثمرات الأوراق: ص ٢٨٥.

الصفحة ٨٢

14- روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قيل له: من كان آخر الأوصياء قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: «أبي». ضياء العالمين للفتوني.

15- عن الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي عليه السلام أنه سئل عن أبي طالب أكان مؤمناً فقال عليه السلام: «نعم». فقيل له: إن هاهنا قوماً يزعمون أنه كافر. فقال عليه السلام: «واعجباً كل العجب أبطعنون على أبي طالب و على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وقد نهاه الله تعالى أن يقدر مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله تعالى عنها من المؤمنات السابقات، فإنها لم تنزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه.»

راجع: (1) ما مر (ص ٣٨٠)، وكتاب الحجة (ص ٢٤)، والدرجات الرفيعة، ضياء العالمين فقال: قيل: إنها متواترة عندنا.

16- عن أبي بصير ليث المرادي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: سيدي إن الناس يقولون: إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه. فقال عليه السلام: «كذبوا والله إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم». إلى آخر ما مر (ص ٣٨٠). رواه (2) السيد في كتاب الحجة (ص ١٨) من طريق شيخ الطائفة عن الصدوق، والسيد الشيرازي في الدرجات الرفيعة، والفتوني في ضياء العالمين.

وروى السيد ابن معد في كتاب الحجة (ص ٢٧) من طريق آخر عن الإمام الباقر عليه السلام إنه قال: مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً. إلى آخره.

17- عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: «إن مثل أبي

(1) الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٢٣، الدرجات الرفيعة: ص ٥٠.

(2) الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٨٥، الدرجات الرفيعة: ص ٤٩.

الصفحة ٨٣

طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فاتاهم الله أجرهم مرتين.»

راجع: (1) الاثني عشر للإسلام الكليني (ص ٢٤٤)، أمالي الصدوق (ص ٣٦٦)، روضة الواعظين (ص ١٢١)، كتاب الحجة (ص ١١٥)، وفي (ص ١٧) ولفظه من طريق الحسين بن أحمد المالكي:

قال عبد الرحمن بن كثير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ان الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحضاح من نار. فقال: «كذبوا، ما بهذا نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم»، قلت: وبما نزل؟ قال: «أتى جبرائيل في بعض ما كان عليه فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فاتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فاتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة، ثم قال كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرائيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد أخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبي طالب؟»

وذكره (2) العلامة المجلسي في البحار (٩ / ٢٤) والسيد في الدرجات الرفيعة، والفتوني في ضياء العالمين، وروى شيخنا أبو الفتوح الرازي هذا الحديث في تفسيره (٤ / ٢١٢).

18- أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي (3) ص ٢٤٤؛ بالإسناد عن إسحاق بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قيل له: إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً، فقال: «كذبوا، كيف وهو يقول:

(1) أصول الكافي: ١ / ٤٤٨، أمالي الصدوق: ٤٩٢، روضة الواعظين: ١ / ١٣٩، الحجة علناالذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٣٦٢، ص ٨٣.

(2) بحار الأنوار: ٣٥ / ٧٢، الدرجات الرفيعة: ص ٤٩ تفسير أبي الفتوح: ٨ / ٤٧٤.

(3) أصول الكافي: ١ / ٤٤٨.

الصفحة ٨٤

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً * نبياً كموسى خط في أول الكتب»

وذكره غير واحد من أئمة الحديث في تأليفهم رضوان الله عليهم أجمعين.

19- أخرج ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي (244) (1)، عن الإمام الطادق قال «كيف يكون أبو طالب كافراً وهو يقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعبا بقبل الأباطل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل "

وذكره السيد في البرهان (3 / 795) (2)، وكذلك غير واحد من أعلام الطائفة أخذاً عن الكليني.

20- روى شيخنا أبو علي القتال في روضة الواعظين (3) ص 121 (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما حضر أبا طالب رضي الله عنه الوفاة جمع وجوه قريش فوصاهم فقال: يا معشر قريش أنتم صفة الله من خلقه، وقلب العرب، وأنتم خزنة الله في أرضه وأهل حرمه، فيكم السيد المطاع، الطويل الذراع، وفيكم المقدم الشجاع، الواسع الباع، إعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المفاخر نصيباً إلا حزمته، ولا شرفاً لا أورثتموه فلكم على الناس بذلك الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب إلى آخر مر في (ص 366) من مواقف سيدنا أبي طالب المشكورة المروية من طرق أهل السنة، وذكر هذه الوصية شيخنا العلامة المجلسي في البحار. (9 / 23) (4)

21- حدث شيخنا أبو جعفر الصدوق في إكمال الدين (5) ص 103، (بالإسناد

(1) أصول الكافي: 1 / 449.

(2) تفسير البرهان: 3 / 231.

(3) روضة الواعظين: 1 / 139.

(4) بحار الأنوار: 35 / 106.

(5) إكمال الدين 1 / 174.

الصفحة ٨٥

عن محمد بن مروان عن الإمام الصادق عليه السلام «إن أبا طالب أظهر الكفر وأسر الإيمان، فلما حضرته الوفاة أوحى الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أخرج منها فليس لك بها ناصر. فهاجر إلى المدينة.»

وذكره سيدنا الشريف المرتضى في الفصول المختارة (1) ص 80 (فقال: هذا يبرهن عن إيمانه لتحقيقه بنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقوية أمره.

وذيل الحديث رواه السيد الحجة ابن معد في كتابه الحجة (2) ص (30) وقال في (ص 103): لما قبض أبو طالب اتفق المسلمون على أن جبرئيل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: ربك يقرئك السلام ويقول لك: ان قومك قد عولوا على أن يبيتوك وقد مات ناصرك فاخرج عنهم. وأمره بالمهاجرة. فتأمل إضافة الله تعالى أبا طالب رحمه الله إلى النبي عليه السلام وشهادته له أنه ناصر، فإن في ذلك لأبي طالب أوفى فخر وأعظم منزلة، وقريش رضيت من أبي طالب بكونه مخالطاً لهم مع ما سمعوا من شعره وتوحيده وتصديقه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يمكنهم قتله والمنايذة له لأن قومه من بني هاشم وإخوانهم من بني المطلب بن عبد مناف وأحلافهم ومواليهم وأتباعهم، كافرهم ومؤمنهم كانوا معه، ولو كان نابذ قومه لكانوا عليه كافة، ولذلك قال أبو لهب لما سمع قريشاً يتحدثون في شأنه ويفيضون في أمره: دعوا عنكم هذا الشيخ فإنه مغرم بابن أخيه، والله لا يقتل محمد حتى يقتل أبو طالب، ولا يقتل أبو طالب حتى تقتل بنو هاشم كافة، ولا تقتل بنو هاشم حتى تقتل بنو عبد مناف، ولا تقتل بنو عبد مناف حتى تقتل أهل البطحاء؛ فأمسكوا عنه وإلا ملنا معه. فخاف القوم أن يفعل فكفوا. فلما بلغت أبا طالب مقاتله طمع في نصرته فقال يستعطفه ويرققه:

عجبت لحلم يا بن شيبه حادثٍ * وأحلام أقوامٍ لديك ضعاف

(1) القصول المختارة: ص ٢٢٩.

(2) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ص ٨٤ من ص ٣٤١.

الصفحة ٨٦

إلى آخر أبيات ذكرها ابن أبي الحديد في شرحه (307 / 3) (1) مع زيادة خمسة أبيات لم يذكرها السيد في الحجة. وذكرها ابن الشجري في حماسته (ص 16).

فقال السيد: فلما أبطأ عنه ما أراد منه قال يستعطفه أيضاً:

وإن امرأ من قومه ابو معتب * لفي منعة من أن يسام المظالما
أقول له وأين منه نصيحتي * أبا معتب (2) ثبتت سوادك قائما

إلى بيات خمسة. وقد ذكرها ابن هشام في سيرته (394 / 1) (3) مع زيادة أربعة بيات، غير ان البيت الأول فيه:

وإن امرأ أبو عتيبة عمه * لفي روضة ما إن يسام المظالما

وذكرها (4) ابن أبي الحديد في الشرح (٣ / ٣٠٧)؛ وابن كثير في تاريخه (٣ / ٩٣).

22- عن يونس بن نباتة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟» قلت: جعلت فداك يقولون: هو في ضحضاح من نار يغلي منها أم رأسه فقال: «كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.»

كنز الفوائد لشيخنا الكراجكي (ص ٨٠)، كتاب الحجة (ص ١٧)، ضياء العالمين.

23- روى الشريف الحجة ابن معد في كتابه الحجة (5) ص ٢٢ من طريق

(1) شرح نهج البلاغة ١٤ / ٥٧ كتاب ٩ الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٣٤٢.

(2) يعني أبا لهب. (الؤلف)

(3) السيرة النبوية: ٢ / ١٠.

(4) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٥٧ كتاب ٩، البداية والنهاية: ٣ / ١١٦.

(5) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٠٤.

الصفحة ٨٧

شيخنا أبي جعفر الصدوق عن دواد الرقي قال: دخلت على ابي عبد الله عليه السلام ولي على رجل دين وقد خفت توأه (1) فشكوت ذلك إليه فقال عليه السلام: إذا مررت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن أبي طالب طوافاً وصل عنه ركعتين وطف عن عبد الله طوافاً وصل عنه ركعتين وطف عن أمية طوافاً وصل عنها ركعتين، وعن فاطمة بنت أسد طوافاً وصل عنها ركعتين. ثم ادع الله عز وجل أن يرد عليك مالك. قال: ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول: يا داود جنني هناك فاقبض حقاك.

وذكره العلامة المجلسي في البحار. (24 / 9) (2)

24- أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي (3) ص ٢٤٤؛ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: بينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد فألقى المشركون عليه سلا (4) ناقة فملؤوا ثيابه بها فدخله من ذلك ما شاء الله، فذهب إلى أبي طالب فقال له: «يا عم، كيف ترى حسبي فيكم؟» فقال له: وما ذلك يابن أخي؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة: خذ السلا ثم توجه إلى القوم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم معه. فأتى قريشاً وهم حول الكعبة. فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه ثم قال لحمزة: أمر السلا على أسبلتهم (5) ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم ثم التفت أبو طالب إلى النبي فقال: يا بن أخي هذا حسبك فينا.

وذكره جمع من الأعلام وأئمة الحديث في تأليفهم .

(1) التوى: الخسارة والضياع.

(2) بحار الأنوار: ٣٥ / ١٢٢ .

(3) أصول الكافي: ١ / ٤٤٩ .

(4) السلا: الجلدة التي يكون فيها الولد.

(5) وفي بعض النسخ: سبالهم جمع السبلة: مقدمة اللحية وما على الشارب من الشعر). المؤلف ()

25- أخرج أبو الفرج الأصبهاني؛ بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروى شعر أبي طالب عليه السلام وأن يدون وقال: تعلموه وعلموه أولادكم فإنه على دين الله وفيه علم كثير.»

كتاب الحجة (ص ٢٥)، بحار الأنوار (٩ / ٢٤)، ضياء العالمين للفتوني (1).

26- روى شيخنا الصدوق في أماليه (2) ص ٣٠٤، بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أول جماعة كانت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب معه، إذ مر أبو طالب به وجعفر معه قال: يا بني صل جناح ابن عمك، فلما أحس رسول الله تقدمهما، وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

ن علياً وجعفرأ تقتني * عند ملم الزمان والكرب

إلى آخر أبيات مرت صحيفة (٣٥٦) وتأتي في (ص ٣٩٧)، والحديث رواه الشيخ أبو الفتوح في تفسيره (4 / 211) (3).

27- أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي (4) ص ٢٤٢، بإسناده عن درست بن أبي منصور؛ أنه سأل أبا الحسن الأول - الإمام الكاظم - عليه السلام: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محجوجاً بأبي طالب؟ فقال: «لا، ولكنه كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه»، فقال: قلت: فدفع إليه الوصايا على أنه محجوج به؟ فقال: «لو كان محجوجاً به ما دفع إليه الوصية»، قال: قلت: فما كان حال أبي طالب؟ قال: «أقر بالنبي وبما جاء ودفع إليه الوصايا ومات من يومه.»

(1) الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٣٠، بحار الأنوار: ٣٥ / ١١٥ .

(2) أمالي الصدوق: ص ٤١٠.

(3) تفسير أبي الفتوح: ٨ / ٤٧٢.

(4) أصول الكافي: ١ / ٤٤٥.

الصفحة ٨٩

قال الأميني: هذه مرتبة فوق مرتبة الايمان، فإنها مشفوعة بما سبق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تثبت لأبي طالب مرتبة الوصاية والحجبة في وقته فضلاً عن بساط الايمان، وقد بلغ ذلك من الثبوت إلى حد ظن السئد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان محجوجاً به قبل بعثته، فنفي الإمام عليه السلام ذلك، وأثبت ما ثبت له من الوصاية وأنه كان خاضعاً للابراهيمية الحنيفية، ثم رضخ للمحمدية البيضاء، فسلم الوصايا للصادق بها، وقد سبق إيمانه بالولاية العلوية الناهض بها ولده البار صلوات الله وسلامه عليه.

28- أخرج شيخنا أبو الفتح الكراكي (1) ص ٨٠؛ بإسناده عن بن بن محمد، قال: كتبت إلى الإمام الرضا علي بن موسى الرضا عليهما السلام: جعلت فداك. إلى آخر ما مر في (ص ٣٨١). (2)

وذكره (3) السيد في كتاب الحجة (ص ١٦)، والسيد الشيرازي في الدرجات الرفيعة، والعلامة المجلسي في بحار الأنوار (ص ٣٣)، وشيخنا الفتوني في ضياء العالمين.

29- روى شيخنا المفسر الكبير بو الفتوح في تفسيره (4 / 211) (4)؛ عن الإمام الرضا سلام الله عليه، وقال: روى عن آبائه بعدة طرق: أن نقش خاتم أبي طالب عليه السلام كان: رضيت بالله رباً، وبابن أخي محمد نبياً، وبابني علي له وصياً.

ورواه: (5) السيد الشيرازي في الدرجات الرفيعة، والإشكوري في محبوب القلوب .

(1) كنز الفوائد: ١ / ١٨٢.

(2) مر ذكره هناك باسم أبان بن محمود كما في شرح ابن أبي الحديد، وفي كنز الفوائد: أبان بن محمد.

(3) الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٧٦، الدرجات الرفيعة: ص ٥٠، بحار الأنوار: ٣٥ / ١١٠.

(4) تفسير أبي الفتوح: ٨ / ٤٧١.

(5) الدرجات الرفيعة: ص ٦٠، محبوب القلوب: ٢ / ٣١٩.

الصفحة ٩٠

30- أخرج الشيخ ابو جعفر الصدوق بإسناد له: أن عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسني المدفون بالرري كان مريضاً فكتب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام عرفني يا بن رسول الله عن الخير المروي أن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه. فكتب إليه الرضا عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار.»

كتاب الحجة (1) ص ١٦، ضياء العلمين لأبي الحسن الشريف.

31- أخرج شيخنا الفقيه أبو جعفر الصدوق، بالإسناد عن الإمام الحسن بن علي العسكري، عن آبائه عليهم السلام في حديث طويل: «إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إنني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سراً، وشيعة تنصرك علانية فأما التي تنصرك سرا فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب. ثم قال: وإن أبا طالب كؤم آل فرعون يكتنم إيمانه.»

كتب الحجّة (2) ص 115): ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف.

32- أخرج شيخنا الصدوق في أماليه (3) ص 365) من طريق الأعمش عن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: قال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بن أخي الله أرسلك؟ قال: «نعم». قال: فأرني آية. قال ادع لي تلك الشجرة. فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم أنصرفت، فقال أبو طالب: أشهد أنك صادق، يا علي صل جناح ابن عمك .

(1) الحجّة علناذهب إلى تكفير أبي طالب: ص 82.

(2) المصدر السابق: ص 362.

(3) أمالي الصدوق: ص 491 .

الصفحة 91

ورواه أبو عبيد الله في روضة الواعظين (1) ص 121)، ورواه السيد ابن معد في الحجّة (2) ص 25) ولفظه: قال أبو طالب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمحضر من قريش ليربهم فضله: يا بن أخي الله أرسلك؟ قال: نعم. قال: إن للأنبياء معجراً وخرق عادة فأرنا آية قال: «ادع تلك الشجرة وقل لها: يقول لك محمد بن عبد الله: أقبلني بإذن الله». فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم أمرها بالانصراف فانصرفت، فقال أبو طالب: أشهد أنك صادق. ثم قال لابنه علي عليه السلام: يا بني الزم ابن عمك.

وذكره غير واحد من أعلام الطائفة.

33- أخرج أبو جعفر الصدوق قدس الله سره في الأمالي (3) ص 366) بإسناده عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس أنه سأله رجل فقال له: يا بن عم رسول الله أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ قال: وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل:

وقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعيا بقل الأباطل

إن أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فاتاهم الله أجرهم مرتين.

ورواه السيد ابن معد في الحجّة (4) ص 94، 115)، وذكره غير واحد من أئمة الحديث.

34- أخرج شيخنا أبو علي الفتال النيسابوري في روضة الواعظين (5)

(1) روضة الواعظين: 1 / 139 .

(2) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص 128 .

(3) أمالي الصدوق: ص 491 .

(4) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٣١٩ - ٣٢٢.

(5) روضة الواعظين: ١ / ١٤٠.

الصفحة ٩٢

(ص ١٢٣) عن ابن عباس قال: مر أبو طالب ومعه جعفر ابنه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد الحرام يصلي صلاة الظهر وعلي عليه السلام عن يمينه، فقال أبو طالب لجعفر: صل جناح ابن عمك، فتقدم جعفر وتأخر علي واصطفا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قضى الصلاة، وفي ذلك يقول أبو طالب:

إن علياً وجعفرأ ثقتي * عند ملم الزمان والنوب (1)
أجعلهما عرضة العداء إذا * أترك ميثاً وأنتمي إلى حسبي
لا تخذلاً وانصرا ابن عمكما * أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا * يخذله من بني ذو حسب (2)

وأخرج سيدنا ابن معد في كتاب بالحجة (3) ص ٥٩)، بإسناده عن عمران بن الحصين الخزاعي قال: كان والله إسلام جعفر بأمر أبيه، ولذلك: مر أبو طالب ومعه ابنه جعفر برسول الله وهو يصلي وعلي عليه السلام عن يمينه، فقال أبو طالب لجعفر: صل جناح ابن عمك فجاء جعفر فصلّى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قضى صلاته قال له النبي صلواته عليه وآله وسلم: «يا جعفر وصلت جناح ابن عمك، إن الله يعوضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنة». فأنشأ أبو طالب رضوان الله عليه يقول:

إن علياً وجعفرأ ثقتي * عند ملم الزمان والنوب
لا تخذلاً وانصرا ابن عمكما * أخي لأمي من بينهم وأبي
إن أبا معتب قد أسلمنا * ليس أبو معتب بذي حذب (4)
والله لا أخذل النبي ولا * يخذله من بني ذو حسب

(1) وفي نسخة: عند احتدام الهموم والكرب. (المؤلف)

(2) راجع فيما أسلفناه: ص ٣٩٤. (المؤلف)

(3) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٤٩.

(4) أبو معتب كنية أبي لهب كما مر. ذي حذب: ذي تعطف. (المؤلف)

الصفحة ٩٣

حتى ترون الرؤوس طائحة * منا ومنكم هناك بالقضب
نحن وهذا النبي أسرته * نضرب عنه الأعداء كالشهب
إن نلتموه بكل جمعكم * فنحن في الناس ألام العرب

ورواه شيخنا أبو الفتح الكرجكي (1) بطريق آخر عن أبي ضوء بن صلصال قال: كنت أنصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي طالب قبل إسلامي، فإني يوماً لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدة القيظ إذ خرج أبو طالب إلي شبيهاً بالملهوف، فقال لي: يا أبا الغضنفر هل رأيت هذين الغلامين؟ يعني النبي وعلياً عليهما السلام فقلت: ما رأيتهما مذ جلست، فقال: قم بنا في الطلب لهما فليست أمن قريشاً أن تكون اغتالتهما، قال: فمضينا حتى خرجنا من أبيات مكة ثم صرنا إلى جبل من جبالها فاسترقيناه إلى قلته، فإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عن يمينه وهما قائمان بإزاء عين الشمس يركعان ويسجدان، فقال أبو طالب لجعفر ابنه وكان معنا: صل

جناح ابن عمك. فقام إلى جنب علي فأحس بهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتقدمهما وأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا مما كانوا فيه، ثم أقبلوا نحونا فرأيت السرور يتردد في وجه أبي طالب ثم نبعث يقول الايات.

35- عن عكرمة عن ابن عباس قال: أخبرني أبي أن أبا طالب رضي الله عنه شهد عند الموت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ضياء العالمين.

36- في تفسير وكيع (2) من طريق أبي ذر الغفاري؛ أنه قال: والله الذي لا إله إلا هو ما مات أبو طالب رضي الله عنه حتى أسلم بلسان الحبشة، قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتفقه الحبشة؟ قال: يا عم إن الله علمني جميع الكلام. قال: يا محمد اسدن لمصافقا قاطا لاهها يعني أشهد مخلصاً لا إله إلا الله، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: إن الله أقر

(1) كنز الفوائد: ١ / ١٨١ .

(2) هو وكيع بن الجراح الرواسي، توفي سنة ١٩٧ هـ كان حافظاً للحديث، له عدة تصانيف، منها تفسير القرآن، والمعرفة، والتاريخ .

الصفحة ٩٤

عيني بأبي طالب. ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف.

أحب سيد الأبطح الشهادة بلغة الحبشة في موقفه هذا بعد ما أكثرها بلغة الضاد وبغيرها، كما فصل القول فيها شيخنا الحجة أبو الحسن الشريف الفتوني المتوفى (١١٣٨) (في كتابه القيم الضخم ضياء العالمين، وهو أثنى كتاب ألف في الإمامة.

37- روى شيخنا أبو الحسن قطب الدين الراوندي في كتابه الخرائج والجرائح (1) عن فاطمة بنت أسد أنها قالت: لما توفي عبد المطلب أخذ أبو طالب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده لوصية أبيه به، وكنت أخدمه، وكان في بستان دارنا نخلات، وكان أول إدراك الرطب، وكنت كل يوم أنتقط له حفنة من الرطب فما فوقها وكذلك جاريتي، فاتفق يوماً أن نسيت أن التقط له شيئاً ونسيت جارتي أيضاً، وكان محمد نائماً ودخل الصبيان وأخذوا كل ما سقط من الرطب وانصرفوا، فنمت ووضع الكم على وجهي حياءً من محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا انتبه، فانتبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودخل البستان فلم ير رطبةً على وجه الأرض فأشار إلى نخلة وقال: أيتها الشجرة أنا جانع. فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتى أكل منها ما أراد ثم ارتفعت إلى موضعها، فتعجبت من ذلك وكان أبو طالب رضي الله عنه غائبا فلما أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت فقال هو: إنما يكون نبياً وأنت تلدين له وزيراً بعد يأس. فولدت علياً عليه السلام كما قال.

38- روى شيخنا الفقيه الأكبر ابن بابويه الصدوق في أماليه (2) ص (١٥٨)، بالإسناد عن أبي طالب سلام الله عليه قال: قال عبد المطلب: بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي فأتيت كاهنة قریش وعلي مطرف خز وجمتي تضرب منكبي، فلما نظرت إلي عرفت في وجهي التغير، فاستوت وأنا يومئذ سيد قومي، فقالت: ما شأن

(1) الخرائج والجرائح: ١ / ١٣٨ .

(2) أمالي الصدوق: ص ٢١٦ .

الصفحة ٩٥

سيد العرب متغير اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر ريب؟ فقلت لها: بلى إني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة قد نبتت عل ظهري قد نال رأسها السماء وضربت بأعضائها الشرق والغرب، ورأيت نوراً يظهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً، ورأيت العرب والنجم ساجدة لها، وهي كل يوم تزداد عظماً ونوراً، ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا أخذهم شاب من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثياباً فيأخذهم شاب من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثياباً فيأخذهم ويكسر ظهورهم ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول غصناً من أغصانها فصاح بي الشاب وقال: مهلاً ليس لك منها نصيب، فقلت: لمن النصيب والشجرة مني؟ فقال: النصيب لهؤلاء الذين قد تعلقوا بها وسيعود إليها، فانتبهت مذعوراً فزعاً متغير اللون، فرأيت لون الكاهنة قد تغير ثم قالت: لئن صدقت ليخرجن من صلبك ولد يملك الشرق والغرب وينبأ في الناس. فتسرى عني غمي، فانظر أبا طالب لعلك تكون أنت، وكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج ويقول: كانت الشجرة والله أب القاسم الأمين.

39- قال السيد الحجة في كتابه الحجة (1) ص ٦٨): ذكر الشريف النسابة العلوي العمري المعروف بالموضح، بإسناده: أن أبا طالب لما مات لم تكن نزلت الصلاة على الموتى، فما صلى النبي عليه ولا على خديجة، وإنما اجتازت جنازة أبي طالب والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وجعفر وحزمة جلوس، فقاموا وشيعوا جنازته واستغفروا له فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضاً ظناً منهم أن أبا طالب مات مشركاً لأنه كان يكتنم إيمانه، فنفى الله عن أبي طالب الشرك ونزه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والثلاثة المذكورين عليهم السلام عن الخطأ في قوله: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى} (2)، فمن قال بكفر أبي طالب فقد حكم على النبي

(1) الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٦٨.

(2) التوبة: ١١٣.

بالخطأ والله تعالى قد نزهه عنه في أقواله وأفعاله. إلى آخره.

وأخرج أبو الفرج الأصبهاني؛ بالإسناد عن محمد بن حميد قال: حدثني أبي قال: سئل أبو الجهم بن حذيفة: أصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أبي طالب؟ فقال: وأين الصلاة يومئذ؟ إنما فرضت الصلاة بعد موته، ولقد حزن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر علياً بالقيام بمره وحضر جنازته، وشهد له العباس وأبو بكر بالإيمان وأشهد على صدقهما لأنه كان يكتنم إيمانه ولو عاش إلى ظهور الإسلام لأظهر إيمانه.

40- عن مقاتل: لما رأت قريش يعلو أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: لا نرى محمداً يزداد إلا كبيراً وإن هو إلا ساحر أو مجنون، فتعاقدوا لئن مات أبو طالب رضي الله عنه ليجمعن كلها عن قتله فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش فوصاهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ابن أخي كل ما يقول أخبرنا بذلك آباؤنا وعلمائنا، وإن محمداً نبي صادق، وأمين ناطق، وأن شأنه أعظم شأن، ومكانه من ربه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته، وراموا عدوه من وراء حوضته، فإنه الشرف الباقي لكم طول الدهر، ثم أنشأ يقول:

أوصي بنصر النبي الخير مشهده * علياً أبنى وعم الخير عباسا
وحزمة الأسد المخشي صولته * وجعفرأ أن يزودا دونه الناسا
وهاشمأ كلها أوصي بنصرته * أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا (1)
كونوا فداءً لكم أمي وما ولدت * من دون أحمد عند الروع أتراسا
بكل أبيض مصقولٍ عوارضه * تخاله في سواد الليل مقباسا (2)

قال الأُميني هذه جملة مما أوقفنا السير عليه من أحاديث رواة الحق والحقيقة وصفحنا عما يربو على الأربعين روماً للاختصار، فأنت ذا أضفت إليها ما أسلفناه مما

(1) أمراس: جمع مرس، وهو الحبل.

(2) ضياء العالمين لشيخنا الفتوني. (المؤلف)

الصفحة ٩٧

يروى عن آل أبي طالب وذويه، وأشفعتها بما مر من أحاديث مواقف سيد الأباطح، وجمعتها مع ما جاء من الشهادات الصريحة في شعره تربو الأدلة على إيمانه الخالص وإسلامه القويم على مائة دليل، فهل من مساغ لذي مسكة أن يصفح عن هذه كلها؟ وكل واحد منها يحق أن يستند له في إسلام أي أحد، نعم، إن في أبي طالب سرّاً لا يثبت إيمانه بألف دليل، وإيمان غيره يثبت بقيل مجهول ودعوى مجردة! إقرأ واحكم.

وقد فصل القول في هذه الأدلة جمع من أعلام الطائفة؛ كشيخنا العلامة الحجة المجلسي في بحار أنوار / (9) (1) 14- ٣٣)، وشيخنا العلم القدوة أبي الحسن الشريف الفتوني في الجزء الثاني من كتابه القيم الضخم ضياء العالمين - والكتاب موجود عندنا - وهو أحسن ما كتب في الموضوع، كما أن ما ألفه السيد البرزنجي ولخصه السيد أحمد زيني دحلان أحسن ما ألف في الموضوع بقلم أعلام أهل السنة، وأفرد ذلك بالتأليف آخرون منهم:

1- سعد بن عبد الله أبو القاسم الأشعري القمي: المتوفى (٢٩٩، ٣٠١)، له كتاب فضل أبي طالب وعبد المطلب وعبد الله أبي النبي صلى الله عليه وآله وسلم. رجال النجاشي (2) ص ١٢٦).

2- أبو علي الكوفي أحمد بن محمد بن عمار: المتوفى (٣٤٦)، له كتاب إيمان أبي طالب كما في فهرست الشيخ (ص ٢٩)، ورجال النجاشي (3) ص ٧٠).

3- أبو محمد سهل بن أحمد بن عبد الله الديباجي، سمع منه التلعكبري سنة (٣٧٠) له كتاب إيمان أبي طالب، ذكره النجاشي في فهرسته (4) ص ١٣٣).

(1) بحار الأنوار: ٣٥ / ٧٤ - ١٣١.

(2) رجال النجاشي: ص ١٧٧ رقم ٤٦٧.

(3) المصدر السابق: ص ٩٥ رقم ٢٣٦.

(4) المصدر السابق: ص ١٨٦ رقم ٤٩٣.

الصفحة ٩٨

4- أبو نعيم علي بن حمزة البصري التميمي اللغوي: المتوفى (٣٧٥)، له كتاب إيمان أبي طالب، توجد نسخته عند شيخنا الحجة ميرزا محمد الطهراني (1) في سامراء المشرفة، نقل عنه بعض فصوله الحافظ ابن حجر في الإصابة (2) في ترجمة أبي طالب واتهم مؤلفه بالرفض.

5- أبو سعيد محمد بن أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري جد المفسر الكبير الشيخ أبي الفتوح الخزاعي لأمه، له كتاب منى الطالب في إيمان أبي طالب. رواه الشيخ منتجب الدين كما في فهرسته (3) ص ١٠ عن سبطه الشيخ أبي الفتوح عن أبيه عنه.

6- أبو الحسن علي بن بلال بن أبي معاوية المهلب الأزد، له كتاب البيان عن خيرة الرحمن في إيمان أبي طالب وآباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ذكره له الشيخ في فهرسته (ص ٩٦) والنجاشي (4) ص ١٨٨).

7- أحمد بن القاسم، له كتاب إيمان أبي طالب، رآه النجاشي كما في فهرسته (5) ص ٦٩) بخط الحسين بن عبيد الله الغضائري.

8- أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن طرخان الكندي الجرجاني صديق النجاشي: المتوفى (٤٥٠)، ذكر له النجاشي في فهرسته (6) ص ٦٣) كتاب إيمان أبي طالب .

(1) توفي قدس الله سره وأبقى له آثاراً ومآثر تذكر مع الأبد وتشكر. (المؤلف)

(2) الإصابة: ٤ / ١١٥ - ١١٩ رقم ٦٨٥.

(3) فهرس منتجب الدين: ص ١٥٧.

(4) رجال النجاشي: ص ٢٦٥ رقم ٦٩٠.

(5) المصدر السابق: ص ٩٥ رقم ٢٣٤.

(6) المصدر السابق: ص ٨٧ رقم ٢١٠ وقية: الجرجاني .

الصفحة ٩٩

9- شيخنا الأكبر أبو عبد الله المفيد محمد بن النعمان: المتوفى (٤١٣) له كتاب إيمان أبي طالب، كما في فهرست النجاشي (1) ص ٢٨٤).

10- أبو علي شمس الدين السيد فخار بن معد الموسوي: المتوفى (٦٣٠)، له كتاب الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب، قرظه العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم بقوله:

بشراك فخار بما أولاً * ك الخالق في يوم المحشر
نزهدت بحجتك الغرا * شيخ البطحاء أبا حيدر
عما نسبوه إليه من الـ * كفر المردود دعاة الشر
أنى وبه قام الإسلام * م فنال بعلياه المفخر
قسماً بولاء أبي حسن * لولاه الدين لما أزهـر
فعليه من الله الرضوا * ن وللعدا نارٌ تسعر

11- سيدنا الحجة أبو الفضائل أحمد بن طاووس الحسيني: المتوفى (٦٧٣)، له كتاب إيمان أبي طالب، ذكره في كتابه بناء المقالة العلوية لنقض الرسالة العثمانية، وهو كتاب في الإمامة ألفه في الرد على رسالة أبي عثمان الجاحظ.

12- السيد الحسين الطباطبائي اليزدي الحائري الشهير بالواعظ: المتوفى (١٣٠٦)، له كتاب بغية الطالب في إيمان أبي طالب، فارسي مطبوع.

13- المفتي الشريف السيد محمد عباس التستري الهندي: المتوفى (١٣٠٦)، له كتاب بغية الطالب في إيمان أبي طالب، أحد شعراء الغدير، تأتي ترجمته في القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى.

14- شمس العلماء ميرزا محمد حسين الكركاني، له كتاب مقصد الطالب في

- إيمان آباء النبي وعمه أبي طالب، فارسي طبع في بمبي سنة (١٣١١).
15- الشيخ محمد علي بن ميرزا جعفر علي الفصيح الهندي نزيل مكة المعظمة، له كتاب القول الواجب في إيمان أبي طالب.
16- شيخنا الحجة الحاج ميرزا محسن ابن العلامة الحجة ميرزا محمد التبريزي (1).
17- السيد محمد علي آل شرف الدين العاملي (2)، له كتاب شيخ الأبطح و أبو طالب، طبع في بغداد سنة (١٣٤٩) في (٩٦) صفحة وقد جمع فيه فأوعى، ولم يبق في القوس منزعاً.
18- الشيخ ميرزا نجم الدين ابن شيخنا الحجة ميرزا محمد الطهراني، له كتاب الشهاب الثاقب لرجم مكفر أبي طالب.
19- الشيخ جعفر بن الحاج محمد النقدي المرحوم، له كتاب مواهب الواهب في فضائل أبي طالب، طبع في النجف الأشرف سنة (١٣٤١) في (١٥٤) صفحة، فيه فوائد جمّة وطرائف ونوادر.
وقد نظم ذلك كثيرون من أعظم الشيعة في قريضهم، ومما يسعنا إثباته هاهنا قول السيد أبي محمد عبد الله بن حمزة الحسني الزيدي من قصيدة:

حماه أبونا أبو طالب * وأسلم والناس لم تسلم
وقد كان يكتم إيمانه * وأما الولاء فلم يكتم

- (1) له كتاب إيمان أبي طالب وأحواله وأشعاره. راجع الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٢ / 513 / رقم ٢٠١٥.
(2) انتقل إلى دار البقاء سنة ١٣٧٢ وأبقى لهفةً وجوىً في قلوب أمة كبيرة كانت تعرفه بفضائله وفواضله.
(المؤلف)

وقول الشريف العلامة السيد علي خان الشيرازي (1) في الدرجات الرفيعة: (2)

أبو طالب عم النبي محمد * به قام أزر الدين واشتد كاهله
ويكفيه فخراً في المفاخر أنه * موازره دون الأنام وكافله
لئن جهلت قوم عظيم مقامه * فما ضر ضوء الصبح من هو جاهله
ولولاه ما قامت لأحمد دعوة * ولا انجاب ليل الغي وانزاح باطله
أقر بدين الله سراً لحكمة * فقال عدو الحق ما هو قائله
وماذا عليه وهو في الدين هضبة * إذا عصفت من ذي العناد أباطله
وكيف يحل الذم ساحة ماجد * أو اخره محموداً وأوائله
عليه سلام الله ما ذر شارق * وما تليت أحسابه وفضائله (3)

ومن قصيدة للشريف الأجل سيدنا آية الله السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي: (4)

ولي ندحة في مدحة الندب والد الـ * أئمة أعدل الكتاب أولي الأمر

هو العلم الهادي أزين بمدحه * شعوري ويزهو في مآثره شعري
أبو طالب حامي الحقيقة سيد * تزان به البطحاء في البر والبحر
أبو طالب والخيل والليل واللوا * له شهدت في ملتقى الحرب بالنصر
أبو الأوصياء الغر عم محمد * تزوع به الأحساب عن طيب النجر
لقد عرفت منه الخطوب محنكاً * تدرع يوم الزحف بالباس والحجر
كما عرفت منه الجدوب أبا ندى * دوين سداه الغمر ملتطم البحر

(1) أحد شعراء الغدير، تأتي ترجمته إن شاء الله تعالى. (المؤلف)

(2) الدرجات الرفيعة: ص ٦٢.

(3) في المصدر: وما تليت أخباره.

(4) أحد شعراء الغدير، يأتي ذكره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى. (المؤلف)

الصفحة ١٠٢

فذا واحد الدنيا وثان له الحيا * وقل في سناه الئ الشمس والبدر
وأنى يحيط الوصف غر خصاله * وقد عجزت عن سردها صاغة الشعر
حمى المصطفى في باس ندب مدجج * تذلل له الأبطال في موقف الكر
فلولاه لم تتجح لطف دعاية * ولا كان للإسلام مستوسق الأمر
وأمن بالله المهيمين والورى * لهم وثبات من يعوق إلى نسر
وجابه أسراب الضلال مصدقاً * نبي الهدى إذ جاء يصدع بالأمر
كفى مفخراً شيخ الأباطح أنه * أبو حيدر المندوب في شدة الضر
وصلى عليه الله ما هبت الصبا * برياً ثنا شيخ الأباطح في الدهر

وقال العلامة الحجة شيخنا الأوردبادي: (1)

بشيخ الأبطحين فشا الصلاح * وفي أنواره زهت البطاح
براه الله للتوحيد عضبا * يلين به من الشرك الجماح
وعم المصطفى لولاه أضحى * حمى الإسلام نهبا يستباح
نضا للدين منه صفيح عزم * عنت لمضائه القضب الصفاح
وأشرع للهدى بأسا مريعا * تحطم دونه السمر الرماح
وأصحر بالحقيقة في قريض * عليه الحق يطفح والصلاح
صريخة هاشم في الخطب لكن * تزم لنيله الإبل الطلاح (2)
أخو الشرف الصراح أقام أمرا * حداه لمثله الشرف الصراح
فلا عاب (3) يدنسه ولكن * غرائز ما برحن به سجاج
فعلم زانه خلق كريم * ودين فيه مشفوع سماح
ومنه الغيث إما عم جدب * وفيه الغوث إن عن الصياح

(1) من شعراء الغدير، يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى. (المؤلف)

(2) الطلاح: جمع الطليحة وهي الناقة المتعبة.

(3) العاب: الوصمة والعيب.

مناقب أعيت البلغاء مدحا * وتنفذ دونها الكلم الفصاح
وصفو القول أن أبا علي * له الدين الأصيل ولا براح
ولكن لابنه نصبوا عدا * وما عن حيدر فضل يزاح
فنالوا من أبيه وما المعالي * لكل محاول قصدا تباح
وضوء البدر أبلج لا يوارى * وإن يك حوله كثر النباح
وهبني قلت إن الصبح ليل * فهل يخفى لذي العين الصباح
فدع بمناهة التضليل قوما * بمرتبك الهوى لهم النباح
فذا شيخ الأباطح في هدا * تصافقه الإمامة والنجاح
أبو الصيد الأكارم من لؤي * مقاديم جحاجة وضاح
لهم كأبيهم إن جال سهم * لأهل الفضل فائزة قداح

وقال العلامة الأوحى الشيخ محمد تقي صادق العاملي من قصيدة يمدح بها أله البيت عليهم السلام:

بسيف علي قد أشيدت صروحه * كما بأبيه قام قدما بناؤه
أبو طالب أصل المعالي ورمزها * ومبدأ عنوان الهدى وانتهائه
توحد في جمع الفضائل والنهى * وضم جميع المكرمات رداؤه
وتنحط عنه رفعة هامة السها * (1) ويأرجح في عرف الخزامى ثناؤه
حمى الخائف اللاجي ومرجع أمنه * وكعبة قصد المرتجى وغناؤه
تحلق في جمع المكارم نفسه * ويسمو به للنيرين إباؤه
أصاخ إلى الدين الحنيف ملبيا * لدعوته لما أتاه نداؤه
وباع بإعزاز الشريعة نفسه * فيورك قدرا بيعه وشراؤه

(1) السها: كويكب صغير خفي الضوء .

وقال العلامة الشريف المبجل السيد علي النقي اللكهنوي: (1)

زهت أم القرى بأبي الوصي * غداة غدا يزود عن النبي
وقام بنصرة الإسلام فردا * يراغم كل مختال غوي
يذب عن الهدى كيذا الأعادي * بأمضى من ذباب المشرقي (2)
وأبصر رشده من دين طه * فجاهر فيه بالسر الخفي
وأمن بالإله الحق صدقا * بقلب موحد بر تقي
بنى للسؤدد العربي صرحا * محاطا بالفخار الهاشمي
تلقي الرشده عن أبا صدق * توارثه صفيا عن صفي
كان الأمهات لهم أبت أن * تلدن سوى نبي أو وصي
فكان على الهدى كأبيه قدما * ولم يبرح على النهج السوي
وكان به رواء الشرع بدءا * وتم بنجله الزاكي علي

وقال العلامة الفاضل الشيخ محمد السماوي (3) من قصيدة نشرت في آخر كتاب الحجة (ص ١٣٥) مطلعها:

فؤادي بالعادة الكاعب * غدا كرة في يدي لاعب
كأنني بدائرة من هوى * فمن طالع لي ومن غارب
بليت بمن ضربت خدره * بمنقطع النظر الصائب
بحيث الصفاح وحيث الرما * ح فمن مشرفي إلى راغي
لها منعة في ذرى قومها * كأن أباهها أبو طالب

فخار الأبى وعم النبى * وشيخ الأباطح من غالب

(1) أحد شعراء الغدير، يأتي في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى). المؤلف.

(2) ذباب المشرفي: حد السيف.

(3) أحد شعراء الغدير، يأتي ذكره إن شاء الله، توفي في يوم الأحد ٢ محرم سنة ١٣٧٩). المؤلف (

الصفحة ١٠٥

أمنع لا يرتقى أجل * إلى ذروة منه أو غارب
إذا الرفع الطرف يرنو له * يعود بتنتحية الناصب
تهلل طلعتة للعبو * ن كما جرد الغمد عن قاضب
أقام عماد العلى سامكا * بأربعة كالسنا الثاقب
بمثل على إلى جعفر * ومثل عقيل إلى طالب
أولئك لا زمعات الرجا * ل من قالص الذيل أو ساحب
ومن ذا كعبد مناف يطو * ل على راجل ثم أو راكب
حمى الدين في سفينة فانبرى * بمكة ممتنع الجانب
وآمن بالله في سره * ل امر جليل على الطالب
وصدق أحمد في وحيه * وقام بما كان من واجب
فكم بين مخف لتصديقه * وآخر ميد له كاذب
لنعم ملاذ الهوى والتقى * ومنتجع الوافد الراغب
ومعتصم الدين في مكة * إذ الدين منفرد الصاحب
ومناح حوزة أهل الهدى * مد العمر من وثبة الواثب
فلولاه ما طفق المصطفى * ينادي على المنهج اللاحب
ولم يعب الشرك مستظهرا * بيوم يضيق على العائب

وللبحثة الفاضل صاحب التأليف القيم الشيخ جعفر بن حاج محمد النقدي من قصيدة ذكرها في كتابه مواهب
الواهب في فضائل أبي طالب. (2) المطبوع في النجف الأشرف في (١٥٤) صفحة مطلعها :

(1) من شعراء الغدير، يأتي تفصيل ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إنشاء الله. ارتحل الى رحمة ربه يوم
السبت ٨ محرم ١٣٦٩ في الكاظمية، ونقل جثمانه الى النجف الأشرف. (المؤلف).

(2) مواهب الواهب في فضائل أبي طالب: ص ٢٩٣ .

الصفحة ١٠٦

برق ابتسامك قد اضاء الوادي * وحيأ خدودك فيه ري الصادث

قوله:

مهما تراكمت الخطوب فإنها * تجلى متى بأبي الوصي انادي
عبد المناف الطهر عم محمد * الطاهر الأباء والأجداد
غيث المكارم ليث كل ملة * غوث المنادي بدر افق الناد
شيخ الأباطح من بصارم عزمه * بلغ الأنام لحظة الأرشاد

دانته لديه المكرمات رقابها * وإليه القى الدهر فصل قياد
جد الأئمة شيخ أمة أحمد * ربع الأمانى مربع الوفا
سيف له المجد الأثير حمائل * وله الفخار غدا حلي نجاد
دعاني الورى للرفد في عصر به * لا يعرفونه الناس نهج رشاد
وله قریش كم رأته من معجز * عرفوه فيه واحد الاحاد
كرضاعه خير البرية أحمد * (1) وقبوله دعوته لسقي الوادي (2)
وبشارة الاسد الهصور بنجله * وشفائه بدعاء النبي الهادي (3)
وكلامه بالوحي قبل صدوره * وله الفجار الأرض اذ هو صادي
وبيوم مولد أحمد أخباره * عن حيدر الكرار بالميلاد (4)
وله على الاسلام من سنن غدته * للمسلمين قلاند الأجياد
كفل النبي المصطفى خير الورى * ورعى الحقوق له بصدق وداد
رباه طفلا واقتفاه يافعا * وحماه كهلا من أذى الأضداد

(1) أخرج حديث هذه المكرمة شيخنا ثقة الاسلام الكليني في اصول الكافي: ص ٣٤٤ (٤٤٨). (1) / المؤلف).

(2) راجع ما أسلفناه ص: ٣٤٥. (المؤلف).

(3) يوجد حديثه في غير واحد من كتب الفريقين. (المؤلف).

(4) راجع ما مر في ص: ٣٤٧، ٣٩٨، (المؤلف).

الصفحة ١٠٧

ولأجله عاد قریش بعدما * سلخوا سبيل الغي والافساد
ورأهم متعاضدين ليقتلوا * خير البرية سيد الأمجاد
فسطا بعزم ناله من معشر * شم الأنوف مصالنت أنجاد
وانصاع يفدي أحمد في نفسه * والجاه والأموال والأولاد
وأقام ينصره إلى أن أصبحت * تز هو شريعته بكل بلاد
أفديه من صاد لواء للهدى * يحمي لأفصح ناطق بالضاد
قد كان يعلم أنه المختار من * رب السماء عميد كل عماد
ولقد روى عن أنبياء جدوده * فيه حديثا واضح الاسناد
وعلا به عينا على كل الورى * إذ قال فيه بمطرب الإنشاد
إن ابن أمانة النبي محمدا * عندي يفوق منازل الأولاد (1)
راعت فيه قرابة موصولة * وحفظت فيه وصية الأجداد
يا والد الكرار والطبار والـ * طهار أبناء النبي الهادي
كم معجز أبصرته من أحمد * باهلت فيه معاشر الحساد
من لصق أحجار ومزق صحيفة * ونزول أطار ونطق جماد
لا فخر إلا فخرك السامي الذي * فقنت به أبصار أهل عناد
إن المكارم لو رأته أجسادها * عين رأتك الروح للأجساد
شكر الآله فعالك العز التي * فرحت بها أملاك سبع شداد
الله همته التي خضعت لها * من خوف بأسك شامخ الأطواد
الله هيبتك التي رجفت بها * أعداء مجدك عصابة الإلحاد
الله كفك كم بها من معدم * أحبيبت في الأصدار والإيراد

إلى آخر .

(1) راجع ما أسلفناه في ص ٣٤٣. (المؤلف).

(2) أشار شاعرنا النقيدي إلى أربعة مكرّمات للرسول صلى الله عليه وآله شاهدها الشيخ الأبطح أبو طالب، مر حديثها ص ٣٣٦، ٣٦٢، ٣٧٥، ٣٩٦. (المؤلف).

الصفحة ١٠٨

وله قصيدة (٤٣) بيتا يمدح بها شيخ الأباطح أبو طالب سلام الله عليه توجد في الواهب (1) ص ١٥١) مستهلها:

بالله يا قاصد الاطلال في العلم * سلمت سلم على سلمى بذي سلم

ها هنا نجعج بالعلم عن الافاضة في القول لأن نطاق الجزء ضاق عن التبسط فنرجى تكلمة البحث إلى أوليات الجزء الثامن إن شاء الله تعالى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(1) مواهب الواهب: ص ٢٩٦ .

الصفحة ١٠٩

أبو طالب في الذكر الحكيم

لقد أغرق القوم نزعا في الوقيعة والتحامل علي بطل الاسلام والمسلم الاول بعد ولده البار، وناصر دين الله الوحيد، فلم يقنعهم ما اختلفوه من الاقاصيص حتى عمدوا الى كتاب الله فحرفوا الكلم عن مواضعه، فافتعلوا في آيات ثلاث أقاويل نأت عن الصدق، وبعدت عن الحقيقة بعد المشركين، وهي عمدة ما استند اليه القوم في عدم تسليم ايمان أبي طالب، فإليك البيان :

الاية الاولى

قوله تعالى: وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون. (1)

أخرج الطبري وغيره من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سمع ابن عباس أنه قال: انها نزلت في أبي طالب، ينهى عن أذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤذي، وينأى أن يدخل في الاسلام. (2)

وقال القرطبي: هو عام في جميع الكفار، أي ينهون عن اتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وينأون عنه، عن ابن عباس والحسن. وقيل: هو خاص بأبي طالب ينهى الكفار عن أذية محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويتباعد عن الايمان به، عن ابن عباس أيضا. روى أهل السير قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج الى الكعبة يوما وأراد أن يصلي، فلما دخل في الصلاة

(1) الأنعام: ٢٦.

(2) طبقات ابن مسعود ١ / ١٠٥ (١ / ١٢٣)، تفسير الطبري: ٧ / ١١٠ (مج ٥ / ج ٧ / ١٧٣)، تفسير ابن كثير: ٢ / ١٢٧، الكشاف: ١ / ٤٤٨ (٢ / ١٤)، تفسير ابن جزي: ٢ / ٦، تفسير الخازن: ٢ / ١٠. (المؤلف).

الصفحة ١١٠

قال أبو جهل - لعنه الله: من يقوم الى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبيري فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلاته، ثم أتى أبا طالب عمه فقال: يا عم ألا ترى الى ما فعل بي؟» فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عبد الله

بن الزبير»، فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل لجللته بسيفي. فقعدوا حتى دنا إليهم، فقال: يا بني من الفاعل بك هذا؟ فقال: عبد الله بن الزبير». فأخذ أبو طالب فرثا ودما فطبخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول، فنزلت هذه الآية: وهم ينهون عنه وينأون عنه (فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا عم نزلت فيك آية. قال: وما هي؟ قال تمنع قريشا أن تؤذيني، وتأبى أن تؤمن بي. فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا

الي آخر الابيات التي أسلفناها (٧ / ٣٣٤، ٣٥٢) فقالوا: يا رسول الله هل تنفع نصره أبي طالب (1)؟ قال: نعم دفع عنه بذاك الغل، ولم يقرن مع الشياطين، ولم يدخل في جب الحيات والعقارب، انما عذابه في نعلين من نار [في رجليه (2) [يغلي منهما دماغه في رأسه، وذلك أهون أهل النار عذابا. (3)

قال الاميني: نزول هذه الآية في أبي طالب باطل لا يصح من شتى النواحي:

1- ارسال حديثه بمن بين حبيب بن أبي ثابت وابن عباس، وكم وكم غير ثقة في أناس رروا عن ابن عباس، ولعل هذا المجهول أحدهم.

2- ان حبيب بن أبي ثابت انفرد به ولم يروه أحد غيره ولا يمكن المتابعة

(1) في المصدر: هل تنفع أبا طالب نصرته؟

(2) الزيادة من الصدر.

(3) تفسير القرطبي: ٦ / ٤٠٦ (٦ / ٢٦١). (المؤلف).

الصفحة ١١١

على ما يرويه، ولو فرضناه ثقة في نفسه بعد قول ابن حبان (1) انه كان مدلسا. وقول العقيلي (2) غمزه ابن عون وله عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها. وقول القطان: له غير حديث عن عطاء لا يتابع عليه وليست بمحفوظة. وقول الاجري عن أبي داود: ليس لحبيب عن عاصم بن ضمرة شيء يصح، وقول ابن خزيمة: كان مدلسا. (3)

ونحن لا نناقش في السند بمكان سفيان الثوري، ولا نؤاخذه بقول من قال: انه يدلس ويكتب عن الكذابين. (4)

3- ان الثابت عن ابن عباس بعدة طرق مسندة يضاد هذه المزعمة، ففيما رواه الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق علي بن أبي طلحة وطريق العوفي عنه أنها في المشركين الذين كانوا ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به، وينأون عنه يتباعدون عنه. (5)

وقد تأكد ذلك ما أخرجه الطبري وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم وعبد بن حميد من طريق وكيع عن سالم عن ابن الحنفية، ومن طريق الحسين بن الفرغ عن أبي معاذ، ومن طريق بشر عن قتادة .

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة والسدي والضحاك، ومن طريق أبي نجیح عن مجاهد، ومن طريق يونس عن ابن زيد قالوا: ينهون عن القرآن وعن النبي، وينأون عنه يتباعدون عنه. (6)

(1) الثقة: ٤ / ١٣٧ .

(2) الضعفاء الكبير: ١ / ٢٦٣ رقم ٢٢٢.

(3) تهذيب التهذيب: ٢ / ١٧٩ (٢ / ١٥٦). (المؤلف).

(4) ميزان الاعتدال: ١ / ٣٩٦ (٢ / ١٦٩) رقم ٣٣٢٢. (المؤلف).

(5) تفسير الطبري: ٧ / ١٠٩ (مج ٥ / ج ٧ / ١٧٢)، الدر المنثور: ٣ / ٨ (٣ / ٢٦٠ -). (261) المؤلف.

(6) الطبري: ٧ / ١٠٩ (مج ٥ / ج ٧ / ١٧٢)، الدر المنثور: ٣ / ٨، ٩ (٣ / ٢٦٠، ٢٦١)، تفسير الألوسي: ج ٧ / ص ١٢٦. (المؤلف).

الصفحة ١١٢

وليس في هذه الروايات أي ذكر لابي طالب، وانما المراد فيها الكفار الذين كانوا ينهون عن اتباع رسول الله أو القرآن، وينأون عنه بالتباعد والمناكرة، وأنت جد عليم بأن ذلك كله خلاف ما ثبت من سيرة شيخ الابطح الذي آواه ونصره وذب عنه ودعا اليه الى آخر نفس لفظه.

4- ان المستفاد من سياق الآية الكريمة أنه تعالى يريد ذم أناس أحياء ينهون عن اتباع نبيه ويتباعدون عنه، وان ذلك سيرتهم السيئة التي كاشفوا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم متلبسون بها عند نزول الآية، كما هو صريح ما أسلفناه من رواية القرطبي وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أبا طالب بنزول الآية.

لكن نظرا الى ما يأتي عن الصحيحين فيما زعموه من أن قوله تعالى في سورة القصص: انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء (نزلت في أبي طالب بعد وفاته. لا يتم نزول آية ينهون عنه وينأون النازلة في أناس أحياء في أبي طالب، فان سورة الانعام التي فيها الآية المبحوث عنها نزلت جملة واحدة (1) بعد سورة القصص بخمس سور كما في الاتقان (1) (2)، (17) فكيف يمكن تطبيقها على أبي طالب وهو رهن أطباق الثرى، وقد توفي قبل نزول الآية ببرهة طويلة؟

5- ان سياق الايات الكريمة هكذا): ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الاولين و هم ينهون عنه وينأون عنه

(1) أخرجه أبو عبيده وابن المنذور والطبراني (في المعجم الكبير: ١٢ / ١٦٦ ح ١٢٩٣٠ (وابن مردويه والنحاس من طريق ابن عباس والطبراني وابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر، راجع تفسير القرطبي: ٦ / ٣٨٢، ٣٨٣ (٦ / ٢٤٦)، تفسير ابن كثير: ٢ / ١٢٢، الدر المنثور: ٣ / ٢ (٣ / ٢٤٥)، تفسير الشوكاني: ٣ / ٩١، ٩٢ (٢ / ٩٦، ٩٧). (المؤلف).

(2) الاتقان في علوم القرآن: ١ / ٢٤، ٢٧.

الصفحة ١١٣

وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون. (1))

وهو كما ترى صريح بأن المراد بالآيات كفار جاؤوا النبي فجادلوه وقذفوا كتابه المبين بأنه من أساطير الاولين، وهؤلاء الذين نهوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن كتابه الكريم، ونأوا وباعدوا عنه، فأين هذه كلها عن أبي طالب، الذي لم يفعل كل ذلك طيلة حياته، وكان اذا جاءه فلكلأته والذب عنه بمثل قوله:

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتي أوسد في التراب دفينا

وان لهج بذكره نوه برسالته عنه بمثل قوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * رسولا كموسى خط في أول الكتب

وان قال عن كتابه هتف بقوله:

أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب * على نبي كموسى أو كذي النون

وقد عرف ذلك المفسرون فلم يقيموا للقول بنزولها في أبي طالب وزنا، فمنهم من عزاه الى القيل، وجعل آخرون خلافه أظهر، ورأى غير واحد خلافه أشبه، واليك جملة من نصوصهم:

قال الطبري في تفسيره (109 / 7) (2) المراد المشركون المكذبون بأيات الله ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقبول منه وينأون عنه ويتباعدون عنه. ثم رواه من الطرق التي أسلفناها عن ابن الحنفية وابن عباس والسدي وقتادة وأبي معاذ، ثم ذكر قولاً آخر بأن المراد ينهون عن القرآن أن يسمع له ويعمل بما فيه، وعد ممن قال به قتادة ومجاهد وابن زيد، ومرجع هذا الى القول الاول، ثم ذكر القول بنزولها في

(1) الانعام: آية ٢٥، آية ٢٦.

(2) جامع البيان: مج ٥ / ج ٧ / ١٧١ - ١٧٤ .

الصفحة ١١٤

أبي طالب وروى حديث حبيب ابن أبي ثابت عن سمع ابن عباس وأردفه بقوله في (ص ١١٠):

وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال: تأويل وهم ينهون عنه عن اتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم من سواهم من الناس وينأون عن اتباعه، وذلك أن الايات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادين به والخير عن تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه، فالواجب أن يكون قوله: وهم ينهون عنه (خبراً عنهم، اذ لم يأتنا ما يدل على انصراف الخبر عنهم الى غيرهم، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على صحة ما قلنا من أن ذلك خير عن جماعة مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون أن يكون خبراً عن خاص منهم، واذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية: وان ير هؤلاء المشركون يا محمد كل آية لا يؤمنوا [بها] (1) [حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقولون ان هذا الذي جئتنا به الا أحاديث الاولين وأخبارهم، وهم ينهون عن استماع التنزيل وينأون عنك، فيبعدون منك ومن اتباعك، وان يهلكون الا أنفسهم. انتهى.

وذكر الرازي في تفسيره (28 / 4) (2) قولين: نزولها في المشركين الذين كانوا ينهون الناس عن اتباع النبي والاقرار برسالته. ونزولها في أبي طالب خاصة، فقال: والقول الاول أشبه لوجهين:

الاول: أن جميع الايات المتقدمة على هذه الآية تقتضي ذم طريقتهم فكذلك قوله: وهم ينهون عنه (ينبغي أن يكون محمولا على أمر مذموم، فلو حملناه على ان أبا طالب كان ينهى عن إيذائه لما حصل هذا النظم.

والثاني: إنه تعالى بعد ذلك: وإن يهلكون إلا أنفسهم (يعني به ما تقدم

(1) من المصدر.

(2) التفسير الكبير: ١٢ / ١٨٩ .

ذكره، ولا يليق ذلك بأن يكون المراد من قوله وهم ينهون عنه النبي عن أذيته، لان ذلك حسن لا يوجب الهلاك.

فان قيل: إن قوله: وان يهلكون إلا أنفسهم (يرجع الى قوله): وينتون عنه (لا إلى قوله): وينهون عنه. (لأن المراد بذلك أنهم يبعدون عنه بمفارقة دينه وترك الموافقة له ذلك ذم فلا يصح ما رجحتم به هذا القول قلنا: إن ظاهر قوله): وإن يهلكون إلا أنفسهم (يرجع الي كل ما تقدم ذكره لانه بمنزلة أن يقال: ان فلانا يبعد عن الشيء الفلاني وينفر عنه ولا يضر بذلك الا نفسه، فلا يكون هذا الضرر متعلقا بأحد الامرين دون الاخر. انتهى.

وذكر ابن كثير في تفسيره (١٢٧/٢) «القول الاول نقلنا عن ابن الحنفية وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد، فقال: وهذا القول أظهر والله أعلم، وهو اختيار ابن جرير.

وذكر النسفي في تفسيره ((1) بهامش تفسير الخازن (٢ / ١٠) (القول الاول ثم قال: وقيل: عني به أبو طالب: والاول أشبه.

وذكر الزمخشري في الكشاف (1/448) (2) والشوكاني في تفسيره (2/103) (3) وغيرهما القول الاول وعزوا القول الثاني الى القليل، وجاء الالوسي ((4) وفصل في القول الاول ثم ذكر الثاني وأردفه بقوله: ورده الامام. ثم ذكر محصل قول الرازي.

وليت القرطبي لما جاءنا يخطب في عشواء وبين شفثيه رواية التقطها كحاطب ليل دلنا على مصدر هذا الذي نسجه، ممن أخذه؟ والى من ينتهي اسناده؟ ومن ذا

(1) تفسير النسفي: ٨ / ٢ .

(2) الكشاف: ١٤ / ٢ .

(3) سطح القدير: ١٠٨ / ٢ .

(4) رواح المعاني: ١٢٦ / ٧ - ١٢٧ .

الذي صافقه على روايتها من الحفاظ؟ وأي مؤلف دونه قبله، ومن الذي يقول: ان ما ذكره من الشعر قاله أبو طالب يوم ابن الزبيري؟ ومن الذي يروي نزول الآية يوم ذلك؟ وأي ربط وتناسب بين الآية واطارها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أبي طالب وبين شعره ذاك؟ وهل روي قوله في هذا النسيج: يا عم نزلت فيك آية. غيره من أئمة الحديث ممن هو قبله أو بعده؟ وهل وجد القرطبي للجزء الاخير من روايته مصدرا غير تفسيره؟ وهل أطل علي جب الحيات والعقارب فوجده خاليا من أبي طالب؟ وهل شد الاغلال فكها هو ليعرف أن شيخ الابطح لا يغل بها؟ أم أن مدركه في ذلك الحديث النبوي؟ حبذا لو صدقت الاحلام، وعلى كل فهو محجوج بكل ما ذكرناه من الوجوه .

الاية الثانية والثالثة

1- قوله تعالى: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم). (1)

2- قوله تعالى: (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين). (2)

أخرج البخاري في الصحيح في كتاب التفسير في القصاص (7/ 184) (3)قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: أي عم قل: لا اله الا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل

(1)البراءة: ١١٣ .

(2)القصاص: ٥٦ .

(3)صحيح البخاري: ٤ / ١٧٨٨ ح ٤٤٩٤ .

الصفحة ١١٧

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما تكلم (1) على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا اله الا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل الله هـ) : ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين .(وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) : انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء .)

وفي رسالة الطبري : (2)فنزلت) : ما كان للنبي (الاية. ونزلت) : انك لا تهدي من أحببت.)

وأخرجه مسلم في صحيحه ((3)من طريق سعيد بن المسيب، وتبع الشيخين جل المفسرين لحسن نهم بهما وبالصحيحين .

مواقع النظر في هذه الرواية:

1- ان سعيدا الذي انفرد بنقل هذه الرواية كان ممن ينصب العدا لأمير المؤمنين علي عليه السلام فلا يحتج بما يقوله أو يتقوله فيه وفي أبيه وفي آله وذويه، فان الوقعة فيهم أشهى مأكلة له، قال ابن أبي الحديد في الشرح (4) : (1 / 370) وكان سعيد بن المسيب منحرفا عنه عليه السلام، وجبهه عمر بن علي عليه السلام في وجهه بكلام شديد، روى عبد الرحمن بن الاسود عن أبي داود الهمداني قال: شهدت سعيد بن المسيب وأقبل عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له سعيد: يا بن أخي ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما يفعل أخوتك وبنو أعمامك؟ فقال عمر: يا بن المسيب أكلما دخلت المسجد أجيء، فأشهدك؟ فقال سعيد: ما أحب أن تغضب

(1)في المصدر: آخر ما كلمهم.

(2)جامع البيان: مج ٧ / ج ١١ / ٤١ .

(3)صحيح مسلم: ١ / ٨٢ ح ٣٩ كتاب الإيمان.

(4)شرح نهج البلاغة: ٤ : ١٠١ الاصل ٥٦ .

الصفحة ١١٨

سمعت أباك يقول: ان لي من الله مقاما لهو خير ليني عبد المطلب مما على الارض من شيء. فقال عمر: وأنا سمعت أبي يقول: ما كلمة حكمة في قلب منافق فيخرج من الدنيا الا يتكلم بها. فقال سعيد: يا ابن أخي جعلتني منافقا؟ قال: هو ما أقول لك. ثم انصرف.

وأخرج الواقدي من أن سعيد بن المسيب مر بجزاة السجاد علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يصل عليها، فقيل له: ألا تصلي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالحين؟ فقال: صلاة ركعتين أحب الي من الصلاة على الرجل الصالح!

ويعرفك سعيد بن المسيب ومبلغه من الحيلة في دين الله ما ذكره ابن حزم في المحلي (٤) (214/ عن قتادة قال: قلت لسعيد: أنصلي خلف الحجاج؟ قال: انا لنصلي خلف من هو شر منه.

2- أن ظاهر رواية البخاري كغيرها تعاقب نزول الايتين عند وفاة أبي طالب عليه السلام، كما أن صريح ما ورد في كل واحدة من الايتين نزولها عند ذلك، ولا يصح ذلك لان الآية الثانية منهما مكية والاولى مدنية نزلت بعد الفتح بالاتفاق وهي في سورة براءة المدنية التي هي آخر ما نزل من القرآن (1) فبين نزول الايتين ما يقرب من عشر سنين أو يربو عليها.

3- ان آية الاستغفار نزلت بالمدينة بعد موت أبي طالب بعدة سنين تربو

(1) صحيح البخاري: ٦٧ / ٧ في آخر سورة النساء (٤ / ١٦٨١ ح ٤٣٢٩)، الكشاف: ٤٩ / ٢ (٢ / 315)، تفسير القرطبي: ٢٧٣ / ٨ (٨ / ١٧٣)، الإتيان: ١٧ / ١ (١ / ٢٧)، تفسير الشوكاني: ٣١٦ / ٣ (٢ / ٣٣١)، نثلا عن ابن أبي شيبة (في مصنفه: ١٠ / ٥٤٠ ح ١٢٦٢) (والبخاري والنسائي (في السنن الكبرى: ٦ / ٣٥٣ ح ١١٢١٢) وابن الضريس وابن المنذر والنحاس وأبي الشيخ وابن مردويه عن طريق البراء بن عازب. (المؤلف).

الصفحة ١١٩

على ثمانية أعوام، فهل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه المدة يستغفر لابي طالب عليه السلام أخذا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: والله لا استغفرن لك ما لم أنه عنك؟ وكيف كان يستغفر له؟ وكان هو صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون ممنوعين عن موادة المشركين والمنافقين وموالاتهم والاستغفار لهم - الذي هو من أظهر مصاديق الموادة والتحابب منذ دهر طويل بقوله تعالى: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه (الآية).

هذه آية (٢٢) من سورة المجادلة المدنية النازلة قبل سورة براءة التي فيها آية الاستغفار بسبع سور كما في الإتيان (1 / 17) (2) ابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي، وابن كثير كما في تفسيره (٤ / ٣٢٩)، وتفسير الشوكاني (٥ / ١٨٩)، وتفسير الألوسي (٢٨ / ٣٧) أن هذه الآية نزلت يوم بدر وكانت في السنة الثانية من الهجرة الشريفة، أو نزلت على ما في بعض التفاسير في أحد وكانت في السنة الثالثة باتفاق الجمهور كما قاله الحلبي في السيرة (3) فعلى هذه كلها نزلت هذه الآية قبل آية الاستغفار بعدة سنين.

ويقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبين).

هذه الآية (١١٤) من سورة النساء وهي مكية على قول النحاس وعلامة وغيرهما ممن قالوا: ان قوله تعالى: يا أيها الناس (حيث وقع انما هو مكي (4) وان

(1) الإتيان في علوم القرآن: ٢٧ / ١.

(2) المعجم الكبير: ١ / ١٥٤ ح ٣٦٠، المستدرک علی الصحیح: ٣ / ٢٩٦ ح ٥١٥٢، حلیة الأولیاء ١ / ١٠١ رقم ١٠، السنن الكبرى للبيهقي ٩ / ٢٧، فتح الغدير: ٥ / ١٩٤.

(3) السيرة الحلبية: ٢ / ٢١٦.

(4) تفسير القرطبي: ١ / ٥ (٣ / ٥).

الصفحة ١٢٠

أخذنا بما صححه القرطبي في تفسيره (١/٥) وذهب إليه الآخرون من أنها مدنية أخذنا بما في صحيح البخاري (1) من حديث عائشة: ما نزلت سورة النساء الا وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنها نزلت في أوليات الهجرة الشريفة بالمدينة، وعلى أي من التقديرين نزلت قبل سورة آية الاستغفار - البراءة باحدى وعشرين سورة كما في الاتقان. (1 / 17) (2)

وبقوله سبحانه: الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبغون عندهم العزة.)

هذه الآية (١٣٩) من سورة النساء وقد عرفت أنها نزلت قبل براءة.

وبقوله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تنفقوا منهم نقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير.)

هذه الآية (٢٨) من آل عمران، نزل صدرها الى بضع وثمانين آية في أوائل الهجرة الشريفة يوم وفد نجران كما في سيرة ابن هشام (2 / 207) (3)، وأخذنا بما رواه القرطبي وغيره (4) نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت يوم الاحزاب كانت في الخمس من الهجرة، وعلى أي من التقديرين وغيرهما نزلت آل عمران قبل براءة - سورة آية الاستغفار - بأربع وعشرين سورة كما في الاتقان. (1 / 17) (5)

وبقوله تعالى: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم)

(1) صحيح البخاري: ٧ / ٣٠٠ (٤ / ١٩١٠ ح ٤٧٤٧) في كتاب التفسير باب تأليف القرآن، وذكره القرطبي في تفسيره: ٥ / ١. (المؤلف).

(2) الإتيان في علوم القرآن: ١ / ٢٧.

(3) السيرة النبوية: ٢ / ٢٢٥.

(4) تفسير القرطبي: ٤ / ٥٨ (٤ / ٣٨)، تفسير الخازن: ١ / ٢٣٥ (١ / ٢٢٧). (المؤلف).

(5) الإتيان في علوم القرآن: ١ / ٢٧.

الصفحة ١٢١

وهي الآية السادسة من المنافقين نزلت عام غزوة بني المصطلق سنة ست، وهو المشهور عند أصحاب المغازي والسير كما قاله ابن كثير (1) ونزلت قبل براءة بثماني سور كما في الاتقان (١ / ١٧).

وبقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون (وبقوله تعالى): استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم.)

وهذه وما قبلها الايتان (٢٣ و ٨٠) من سورة التوبة نزلتا قبل آية الاستغفار.

أثرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع هذه الايات النازلة قبل آية الاستغفار كان يستغفر لعمه طيلة سنين وقد مات كافرا - العياذ بالله - وهو ينظر اليه من كثب؟ لاهما الله، حاشا نبي العظمة.

ولعل لهذه كلها استبعاد الحسين بن الفضل نزولها في أبي طالب وقال: هذا بعيد لان السورة من آخر ما نزل من القرآن، ومات أبو طالب في عنفوان الاسلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، وذكره القرطبي وأقره في تفسيره. (2) (8 / 273)

4- إن هناك روايات تضاد هذه الرواية في مورد نزول آية الاستغفار من سورة براءة، منها:

صحيحة أخرجها (3) الطيالسي، وابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي،

(1) تفسير القرطبي: ١٨ / ١٢٧ (١٨ / ٨٣)، تفسير ابن كثير: ٤ / ٣٦٩، (المؤلف).

(2) الجامع لأحكام القرآن: ٨ / ١٧٣.

(3) مسند أبي داود الطيالسي: ص ٢٠ ح ١٣١، المصنف في الأحاديث والآثار: ١٠ / ٥٢٢ ح 10190، مسند أحمد ١: ٢١٠ ح ١٠٩٩، سنن الترمذي: ٥ / ٢٦٢ ح ٣١٠١، السنن الكبرى: ١ / 655 ح ٢١٦٣، مسند أبي يعلى: ١ / ٢٨٠ ح ٣٣٥، جامع البيان: مج ٧ / ج ١١ / ٤٣، المستدرک على الصحيحين: ٢ / ٣٦٥ ح ٣٢٨٩، شعب الإيمان: ٧ / ٤١ ح ٩٣٧٨.

الصفحة ١٢٢

والنسائي، وأبو يعلى، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان، والضياء في المختارة عن علي قال: «سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت: تستغفر لابويك وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر ابراهيم؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت: ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حلیم.» (1)

يظهر من هذه الرواية أن عدم جواز الاستغفار للمشركين كان أمرا معهودا قبل نزول الآية ولذلك ردع عنه مولانا أمير المؤمنين الرجل، وقوله عليه السلام هذا لا يلائم استغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمه على تقدير عدم اسلامه، وتري الرجل ما استند في تبرير عمله الى استغفار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمه علما بأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يستغفر لمشرك قط.

قال السيد زيني دحلان في أسنى المطالب (2) ص ١٨ هذه الرواية صحيحة وقد وجدنا لها شاهدا برواية صحيحة من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال: كانوا يستغفرون لابائهم حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لامواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للآحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله تعالى: وما كان استغفار ابراهيم (الآية يعني استغفر له ما دام حيا فلما مات أمسك عن الاستغفار له، قال: وهذا شاهد صحيح فحيث كانت هذه الرواية أصح كان العمل بها أرجح، فالأرجح أنها نزلت في استغفار أناس لابائهم المشركين لا في أبي طالب. انتهى.

ومنها: ما أخرجه (3)- في سبب نزول آية الاستغفار - مسلم في صحيحه،

(1) التوبة: ١١٣، ١١٤.

(2) أسنى المطالب: ص ٤٥.

(3) صحيح مسلم: ٢ / ٣٦٥ ح ١٠٦ كتاب الجنائز، مسند أحمد: ٣ / ١٨٦ ح ٩٣٩٥، سنن أبي داود: ٣ / ٢١٨ ح ٣٢٣٤، السنن الكبرى: ١ / ٦٥٤ ح ٢١٦١، سنن ابن ماجه: ١ / ٥٠١ ح 1572.

الصفحة ١٢٣

وأحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي. فزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة. (1)

وأخرج: الطبري، والحاكم (2) وابن أبي حاتم، والبيهقي (3) عن ابن مسعود وبريدة، والطبراني (4) وابن مردويه، والطبري من طريق عكرمة عن ابن عباس: أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما أقبل من غزوة تبوك اعتمر فجاء قبر أمه فاستأذن ربه أن يستغفر لها، ودعا الله تعالى أن يأذن له في شفاعتها يوم القيامة فأبى أن يأذن فنزلت الآية. (5)

وأخرج الطبري في تفسيره (11 / 31) (6) عن عطية: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها حتى نزلت: ما كان للنبي (الى قوله): تبرأ منه.

وروى الزمخشري في الكشاف (2 / 49) (7) حديث نزول الآية في أبي طالب، ثم ذكر هذا الحديث في سبب نزولها وأردفها بقوله: وهذا أصح لان موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة .

(1) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري: ٧ / ١٥١ (١٠ / ٣١٤ ح ٤٦٧٥)، (المؤلف).

(2) المستدرک على الصحيحين: ٢ / ٣٦ ح ٣٢٩٢.

(3) دلائل النبوة: ١ / ١٨٩.

(4) المعجم الكبير: ١١ / ٢٩٦ ح ١٢٠٤٩.

(5) تفسير الطبري: ١١ / ٣١ (مج ٧ / ج ١١ / ٤٢)، إرشاد الساري: ٧ / ٢٧٠ (١٠ / ٣١٤ ح 4675)، الدر المنثور: ٣ / ٢٨٣ (٤ / ٣٠٢). (المؤلف).

(6) جامع البيان: مج ٧ / ج ١١ / ٤٢.

(7) الكشاف: ٢ / ٣١٥.

الصفحة ١٢٤

وقال القسطلاني في إرشاد الساري (7 / 270) (1)، قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى قبر أمه لما اعتمر فاستأذن ربه أن يستغفر لها فنزلت هذه الآية. رواه الحاكم (2) وابن أبي حاتم عن ابن مسعود، والطبراني (3) عن ابن عباس، وفي ذلك دلالة على تأخر نزول الآية عن وفاة أبي طالب والاصل عدم تكرار النزول.

قال الاميني: هلا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الى يوم تبوك بعد تلكم الايات النازلة التي أسلفناها في (ص ١٠ - ١٢)، أنه غير مسوغ له وللمؤمنين الاستغفار للمشركين والشفاعة لهم، فجاء يستأذن ربه أن يستغفر لآله ويشفع لها؟ أو كان يحسب أن لآله حسابا آخر دون سائر البشر؟ أو أن الرواية مختلقة تمس كرامة النبي الاقدس، وتدنس ذيل قداسة أمه الطاهرة عن الشرك.

ومنها: ما أخرجه الطبري في تفسيره (11 / 31) (4) عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: يا نبي الله ان من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الرحم، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلي (5) [والله لاستغفرن لآبي كما استغفر ابراهيم لآبيه، فأنزل الله]: ما كان للنبي(، ثم عذر الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال): وما كان استغفار ابراهيم لآبيه (الى قوله): تبرأ منه.

وأخرج الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس قال: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يستغفر لآبيه فنهاه الله عن ذلك بقوله): ما كان للنبي والذين آمنوا أن

(1) إرشاد الساري: ١٠ / ٥٦٠ - ٥٦١ ح ٤٧٧٢.

(2) المستدرك على الصحيح: ٢ / ٣٦٦ ح ٣٢٩٢.

(3) المعجم الكبير: ١١ / ٢٩٦ ح ١٢٠٤٩.

(4) جامع البيان: مج ٧ / ج ١١ / ٤٣.

(5) من المصدر .

الصفحة ١٢٥

يستغفروا للمشركين (الاية. قال: فان ابراهيم قد استغفر لآبيه، فنزلت): وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة (الاية: الدر المنثور. (3 / 283) (1)

وفي هاتين الروايتين نص على أن نزول الاية الكريمة في أبيه وآباء رجال من أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم لا في عمه ولا في أمه.

ومنها: ما جاء به الطبري في تفسيره (11 / 33) (2)، قال: قال آخرون: الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الصلاة. ثم أخرج من طريق المثني عن عطاء بن أبي رباح قال: ما كنت أدع الصلاة على أحد من أهل هذه القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا، لاني لم أسمع الله يحجب الصلاة الا عن المشركين يقول الل): ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين (الاية.

وهذا التفسير ان صح فهو مخالف لجميع ما تقدم من الروايات الدالة على أن المراد من الاية هو طلب المغفرة كما هو الناهر المتفاهم من اللفظ.

ونفس هذا الاضطراب والمناقضة بين هذه المنقولات وبين ما جاء به البخاري مما يفت في عضد الجميع، وينهك من اعتباره، فلا يحتج بمثله ولا سيما في مثل المقام من تكفير مسلم بار، وتباعد المتقاني دون الدين عنه.

5- ان المستفاد من رواية البخاري نزول آية الاستغفار عند موت أبي طالب كما هو ناهر ما أخرجه اسحاق بن بشر وابن عساكر عن الحسن، قال: لما مات أبو طالب قال النبي: صلى الله عليه وآله وسلم ان ابراهيم استغفر لآبيه وهو مشرك وأنا أستغفر لعمي حتى أبلغ، فأنزل الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين). (الاية. يعني به أبا طالب، فاشتد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما كان استغفار

(1) الدر المنثور: ٤ / ٣٠٢.

(2) جامع البيان: مج ٧ / ج ١١ / ٤٤ .

الصفحة ١٢٦

ابراهيم لابيه الا عن موعده وعداها اياه) الدر المنثور (3 / 283) (1) وان ناقضها ما أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن علي قال: أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بموت أبي طالب فيكي فقال: اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه. ففعلت وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر له أياما ولا يخرج من بيته حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية) : ما كان للنبي والذين آمنوا (الآية . (2)

ولعله ناهر ما أخرجه ابن سعد وأبو الشيخ وابن عساكر من طريق سفيان بن عيينة عن عمر قال: لما مات أبو طالب قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحمك الله وغفر لك، لا أزال أستغفر لك حتى ينهاني الله، فأخذ المسلمون يستغفرون لموتاهم الذين ماتوا وهم مشركون فأنزل الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين (الدر المنثور (٣) / ٢٨٣).

لكن الامة أصفقت على أن نزول سورة البراءة التي تضمنت الآية الكريمة آخر ما نزل من القرآن كما مر في (ص ١٠) وكان ذلك بعد الفتح، وهي التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر ليتلوها علي أهل مكة ثم استرجعه بوحي من الله سبحانه وقبض لها مولانا أمير المؤمنين فقال: «لا يبلغها عني الا أنا أو رجل مني (3)» وقد جاء في صحيحة مرت من عدة طرق في (ص ل١٣) من أن آية الاستغفار نزلت بعد ما أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة تبوك وكانت في سنة تسع فأين من هذه كلها نزولها عند وفاة أبي طالب أو بعدها بأيام؟ وأني يصح ما جاء به البخاري ومن يشاكله في رواية البواطيل .

(1) الدر المنثور: ٤ / ٣٠١.

(2) طبقات ابن سعد: ١ / ١٠٥ (١ / ١٢٣)، الدر المنثور: ٣ / ٢٨٢ (٤ / ٣٠١) نقلا عن ابن سعد وعساكر (مختصر تاريخ مدينة دمشق: ٢٩ / ٣٢). (المؤلف).

(3) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا: ص ٣٣٨ - ٣٥٠. (المؤلف).

الصفحة ١٢٧

6- ان سياق الآية الكريمة - آية الاستغفار سياق نفي لا نهي فلا نص فيها على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استغفر فنهى عنه، وانما يلتئم مع استغفاره لعلمه بإيمان عمه، وبما أن في الحضور من كان لا يعرف ذلك من ظاهر حال أبي طالب الذي كان يماشي به قريشا، فقالوا في ذلك أو اتخذه مدركا لجواز الاستغفار للمشركين، كما ربما احتجوا بفعل ابراهيم عليه السلام فأنزل الله سبحانه الآية وما بعدها من قوله تعالى: وما كان استغفار ابراهيم (الآية) تنزيها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعديرا لابراهيم عليه السلام، وايعازا الى أن من استغفر له النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مشركا كما حسبه، وأن مرتبة النبوة تأتي عن الاستغفار للمشركين، فنفس صدوره منه صلى الله عليه وآله وسلم برهنة كافية على أن أبا طالب لم يكن مشركا، وقد عرفت ذلك أفذاذ من الامة فلم يحتجوا بعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاستغفارهم لاياتهم المشركين، وانما اقتصروا في الاحتجاج بعمل ابراهيم عليه السلام كما مر في صحيحة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت: تستغفر لابويك وهما مشركان؟ قال: أو لم يستغفر ابراهيم؟» الحديث. راجع صفحة (١٢) من هذا الجزء.

ولو كان يعرف هذا الرجل أبا طالب مشركا لكان الاستدلال لتبرير عمله باستغفار نبي الاسلام له - ولم يكن يخفي على أي أحد أولى من استغفار ابراهيم لابيه لكنه اقتصر على ما استدل به.

7- انا علي تقدير التسليم لرواية البخاري و غرض الطرف عما سبق عن العباس من أن أبا طالب لهج بالشهادتين، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. مات حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا، وما مر من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل الخير أرجو من ربي لابي طالب.» وما مر من وصية أبي طالب عند الوفاة لقريش وبنو عبد المطلب باطاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه والتسليم لامره وأن فيه الرشد والفلاح، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم الامين في قريش والصديق في العرب. الى تلك النصوص الجمة في نثره وننممه، فبعد غرض الطرف عن هذه كلها

الصفحة ١٢٨

لا نسلم أن أبا طالب عليه السلام أبى عن الايمان في ساعته الاخيرة لقوله: على ملة عبد المطلب. ونحن لا نرتاب في أن عبد المطلب سلام الله عليه كان على المبدأ الحق، وعلى دين الله الذي ارتضاه للناس رب العالمين يومئذ، وكان معترفا بالمبدأ والمعاد، عارفا بأمر الرسالة، اللائح على أساريه نورها، الساكن في صلبه صاحبها، وللشهرستاني حول سيدنا عبدالمطلب كلمة ذكرنا جملة منها في الجزء السابع (ص ٣٤٦ و ٣٥٣) فراجع الملل والنحل (1) والكتب التي ألفها السيوطي (2) في آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتي تعرف جلية الحال، فقول أبي طالب عليه السلام: على ملة عبد المطلب. صريح في أنه معتنق تلك المبادي كلها، أضف الى ذلك نصوصه المتواصلة طيلة حياته على صحة الدعوة المحمدية.

8- نظرة في الثانية من الايتين، ولعلك عرفت بطلان دلالتها على ما ارتأوه من كفر شيخ الاطاح - سلام الله عليه من بعض ما ذكرناه من الوجوه، فاهم معي لننظر فيها خاصة وفيما جاء فيها بمفردها، فنقول:

أولا: ان هذه الآية متوسطة بين أي تصف المؤمنين، وأخرى يذكر سبحانه فيها الذين لم يؤمنوا حذار أن يتخطفوا من مكة المعظمة، فمقتضى سياق الايات أنه سبحانه لم يرد بهذه الآية الا بيان أن الذين اهتدوا من المذكورين قبلها لم تستند هدايتهم الى دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، وانما الاستناد الحقيقي الي مشيئته وارادته سبحانه على وجه لا ينتهي الى الاجاء بنحو من التوفيق، كما أن استناد الاضلال اليه سبحانه بنحو من الخذلان، وان كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيطا في تبليغ الدعوة (فان تولوا

(1) الملل والنحل: ٢ / ٢٤٩.

(2) منها: مسالك الحنفا في والدي المصطفى، الدرج المنيفة في الآباء الشريفة، المقامة السندسية في النسبة المصطفوية، التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة، نشر العلمين في إحياء الأبوين، السبل الجليلة في الآباء العلية. (المؤلف).

الصفحة ١٢٩

فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين. (1) (وفي الذكور الحكيم): انما امرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ووله كل شيء وامرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين (2)، كما أن ابليس اللعين يزين للعاصي عمله (ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير (3)، (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصددهم عن السبيل (4)، (استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله) (5) (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم (6) (وقد جاء فيما أخرجه العقيلي (7) وابن عدي (8) وابن مردويه والديلمي (9) وابن عساكر وابن النجار عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بعثت داعيا ومبغا وليس الى من الهدى شيء، وخلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شيء (10).

فهذه الآية الكريمة كبقية ما جاء في الذكر الحكيم من اسناد كل من الهداية والضلال اليه سبحانه كقوله تعالى:

- 1- (ليس عليك هدامم ولكن الله يهدي من يشاء) البقرة: 272 :
- 2- (ان تحرص على هدامم فان الله لا يهدي من يضل) النحل: 37 :

(1)النور: ٥٤.

(2)النمل: ٩١ و ٩٢.

(3)لقمان: ٢١.

(4)العنكبوت: ٣٨، النمل: ٢٤.

(5)المجادلة: ١٩.

(6)محمد: ٢٥.

(7)الضعفاء الكبير: ٢ / ٩ رقم ٤١٠.

(8)الكامل في ضعفاء الرجال: ٣ / ٣٩ رقم ٥٩٧.

(9)الفردوس بمأثور الخطاب: ٢ / ١١ ح ٢٠٩٤.

(10)مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي، الجامع الصغير للسيوطي (١ / ٤٨٧ ح ٣١٥٣). (المؤلف).

الصفحة ١٣٠

3- (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين) (الزخرف: ٤٠).

4- (وما أنت بهادي العمي عن ضلالهم) (النمل: ٨١).

5- (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) (النساء: ٨٨).

6- (أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون) (يونس: ٤٣).

7- (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) (الكهف: ١٧).

8- (ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب) (الرعد: ٢٧).

9- (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) (ابراهيم: ٤).

10- (ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء) (النحل: ٩٣).

الى آيات كثيرة مما يدل على استناد الهداية والضلال الى الله تعالى على وجه لا ينافي اختيار العبد فيهما، ولذلك أسندا اليه والى مشيئته أيضا في أي أخرى كقوله تعالى:

- 1- (فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها (يونس: ١٠٨).
- 2- (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (الكهف: ٢٩).
- 3- (ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم (التكوير: ٢٧، ٢٨).
- 4- (من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها (الاسراء: ٥١).
- 5- (فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين (النمل: ٩٢).
- 6- (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم (البقرة: ١٦).

الصفحة ١٣١

- 7- (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة (الاعراف: ٣٠).
- 8- (ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين (القصص: 85).
- 9- (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها (الاسراء: 7).
- 10- (فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ (آل عمران: ٢٠).

الى آيات أخرى، ولا مناقضة بين هذين الفريقين من الاي الكريمة بما قدمناه وبما ثبت من صحة اسناد الفعل الى الباعث تارة والى المباشر المختار أخرى.

فآيتنا هذه صاحبة البحث والعنوان من الفريق الاول، وقد سبق بيانها بعد آيات المؤمنين لافادة ما أريدت افادته من لداتها، وليبيان أن هؤلاء المذكورين من المهتدين هم على شاكلة غيرهم في اسناد هدايتهم اليه سبحانه، فلا صلة لها بأي انسان خاص أبي طالب أو غيره، وان ماشينا القوم على وجود الصلة بينها وبين أبي طالب عليه السلام فانها بمعونة سابقتها على ايمانه أدل. هكذا ينبغي أن تفسر هذه الاية غير مكثر لما جاء حولها من التافهات مما سبق ويأتي .

وثانيا: ان ما روي فيها بمفردها كلها مراسيل، فان منها: ما رواه عبد بن حميد ومسلم (1) والترمذي (2) وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عنه قال: لما حضرت وفاة أبي طالب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عماء قل: لا اله الا الله، أشهد لك بها عند الله يوم القيامة، فقال: لولا أن تعيرني قريش يقولون: ما حملة عليها الا جزعه من الموت لاقررت بها عينك فأنزل الله عليه: انك لا تهدي من أحببت (الآية). (3)

كيف يرويه أبو هريرة وكان يوم وفاة أبي طالب شحاذا من متكفي دوس

(1) صحيح مسلم: ١ / ٨٤ ح ٤٢ كتاب الإيمان.

(2) سنن الترمذي: ٥ / ٣١٨ ح ٣١٨٨.

(3) الدر المنثور: ٥ / ١٣٣ (٦ / ٤٢٨). (المؤلف).

الصفحة ١٣٢

باليمين الكفرة، يسأل الناس الحافا، ويكتنفه اليوس من جوانبه، وما ألم بالاسلام الا عام خبير سنة سبع من الهجرة الشريفة باتفاق من الجمهور؟ فأين كان هو من وفاة أبي طالب، وما دار هنالك من الحديث؟ فان صدق في روايته فهو راو عمن لم ينوه باسمه، وان كان تدليس أبي هريرة قد اطرده في موارد كثيرة، روي أشياء ادعى فيها المشاهدة أو دل عليها السياق لكنه لم يشاهد شيئاً منها، ومن أراد الوقوف على هذه وغيرها من أمر أبي هريرة فليراجع كتاب أبو هريرة لسيدنا المصلح الشريف الحجة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي حياه الله وبياه فقد جمع ذلك فأوعى.

ومنها: ما أخرجه ابن مردويه وغيره من طريق أبي سهل السري بن سهل بالاسناد عن عبد القدوس، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت: انك لا تهدي من أحببت (الاية)، في أبي طالب ألح عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يسلم فأبى، فأنزل الله (انك لا تهدي)، الحديث. (1)

أبو سهل السري أحد الكذابين وضاع كان يسرق الحديث كما مر في سلسلة الكذابين (٥/ 231) ، وعبد القدوس أبو سعيد الدمشقي أحد الكذابين كما أسلفناه في الجزء الخامس (ص. 238).

وظاهر هذه الرواية كسابقها هو المشاهدة، والاثبت على ما قاله ابن حجر في الاصابة (٢): (331/ أن ابن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث. فهو عند وفاة عمه أبي طالب كان يرضع ندي أمه فلا يسعه الحضور في ذلك المشهد.

وان صدقت الرواية عنه - وأنى تصدق؟ فان ابن عباس أسند ما يقوله الى من لا نعرفه، ولعل رواة السوء حذفوه لضعفه، كما حذف غير واحد من المؤلفين أبا سهل السري وعبد القدوس ونظراءهما من أسانيد هذه الافانك سترأ على علها .

(1) الدر المنثور: ٥ / ١٣٣ / ٦ / ٤٢٩ .

الصفحة ١٣٣

والقول الفصل: ان حبر الامة لم يلهج بتلكم الخزية، وان لهج بشيء من أمر ذلك المشهد عن أحد فأولى له أن يقول ما قاله أبوه من أنه سمع أبا طالب يشهد بالشهادتين عند وفاته. (1) أو يفوه بما أسلفناه عن ابن عمه الاقدس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (2)، أو يروي ما جاء عن ابن عمه الطاهر أمير المؤمنين عليه السلام (3) أليس ابن عباس راوي ما ثبت عنه من قول أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما مر في (٧) / ٣٥٥: (قم يا سيدي فتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك فانك الصادق المصدق؟

ومنها: ما أخرجه أبو سهل السري الكذاب المذكور من طريق عبد القدوس الكذاب أيضاً، عن نافع، عن ابن عمر قال: انك لا تهدي من أحببت (الاية). نزلت في أبي طالب عند موته، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم عند رأسه وهو يقول: يا عم قل لا اله الا الله أشفع لك بها يوم القيامة، قال أبو طالب: لاتعيرني نساء قريش بعدي أني جزعت عند موتي، فأنزل الله تعالى: انك لا تهدي من أحببت (الحديث). (4)

لعل ابن عمر لا يدعي في روايته الحضور في ذلك المحضر. وليس له أن يدعي ذلك لانه كان وقتئذ ابن سبع سنين تقريباً، فان مولده كان بعد البعثة بثلاث (5) ومن طبع الحال أن من هو بهذا السن لا يطلق سراحه الى ذلك المنتدى الرهيب، والمسجى فيه سيد الاباطح ويلي أمره نبي العظمة، ويحضره مشيخة قريش، فلا بد من أنه سمع من يقول ذلك ممن حضر واطلع، ولا يخلو أن يكون ذلك اما ولد المتوفي وهو مولانا أمير المؤمنين والثابت عنه ما مر في الجزء السابع، أو عن بقية أولاده من طالب وجعفر

(1) راجع ما أسلفناه في صفحة: ٣٧٠ من الجزء السابع. (المؤلف).

(2) راجع ما مر في صفحة ٣٧٣ من الجزء السابع. (المؤلف).

(3) راجع ما سبق في صفحة ٣٧٩ من الجزء السابع. (المؤلف)

الصفحة ١٣٤

وعقيل ولم ينبسوا في هذا الامر بينت شفة، أو عن أخيه العباس وقد صح عنه ما أسلفناه في الجزء السابع، أو عن ابن أخيه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد عرفت قوله فيه فيما مر، فممن أخذ ابن عمر؟ ولماذا حذف اسمه؟ ولما شرك أبا جهل مع أبي طالب في احدى روايتيه، ولم يقل به أحد غيره؟ وهل في الرواة من تقول عليه كل ذلك؟ فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر.

واعطف على هذه ما عزوه الى مجاهد وقتادة في شأن نزول الاية (1) فان مستند أقوالهما اما هذه الروايات أو أنهما سمعاها من أناس مجهولين، فمراسيل كهذه لا يحتج بها على أمر خطير مثل تكفير أبي طالب بعد ثبوت ايمانه بما صدع به الصادع الكريم وتفانيه دونه والذب عنه بالبرهنة القاطعة.

ومن التفسير بالرأي والدعوى المجردة ما عن قتادة ومن يشاكله مرسلا من تبويض الاية بين أبي طالب والعباس، فجعل صدرها لابي طالب وذيلها للعباس (2) الذي أسلم بعد نزول الاية بعدة سنين كما هو المتسالم عليه عنه الجمهور.

وأنت تعرف بعد هذه كلها قيمة قول الزجاج: أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب. وما عقبه به القرطبي من قوله: والصواب أن يقال: أجمع جل المفسرين على أنها نزلت في شأن أبي طالب (3). انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما ميينا. (4)

(1) تاريخ ابن كثير: ٣ / ١٢٤ (٣ / ١٥٣). (المؤلف).

(2) تفسير القرطبي: ١٣ / ٢٩٩ (١٣ / ١٩٨)، الدر المنثور: ٥ / ١٣٣ (٦ / ٤٢٩). (المؤلف)

(3) تفسير القرطبي: ١٣ / ٢٩٩ (١٣ / ١٩٨). (المؤلف)

(4) النساء: ٥٠.

الصفحة ١٣٥

حديث الضحاح

الى هنا انتهى كل ما للقوم من نبل تقله كنانة الاحقاد، أو ذخيرة في علبه الضغائن رموا بها أبا طالب، وقد أتينا عليها فجعلناها هباء منثورا، ولم يبق لهم الا رواية الضحاح، وما لاعداء أبي طالب حولها من مكاء وتصديعة، وهي على مايلي:

أخرج البخاري ومسلم من طريق سفيان الثوري عن عبد الملك بن عمير، عن عبدالله بن الحارث قال: حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك. قال: هو في ضحاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الاسفل.

وفي لفظ آخر: قلت: يا رسول الله ان أبا طالب كان يحفظك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحاح.

ومن حديث الليث حدثني ابن الهاد عن عبدالله بن خباب، عن أبي سعيد أنه سمع النبي صل عليه وآله وسلم ذكر أبو طالب عنده فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه.

وفي صحيح البخاري من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن يزيد بن الهاد نحوه، غير أن فيه تغلي منه أم دماغه.

راجع (1) صحيح البخاري في أبواب المناقب باب قصة أبي طالب (6/33)، (34) وفي كتاب الادب باب كنية المشرك (92/9)، صحيح مسلم كتاب الايمان،

(1) صحيح البخاري: 3 / 1408 ح 3670، ص 1409 ح 3672 و 5 / 2293 ح 5855، ص 2400 - 2401 ح 6196، صحيح مسلم: 1 / 247 ح 357 كتاب الإيمان، الطبقات الكبرى: 1 / 124، مسند أحمد: 1 / 339 ح 1766، ص 340 ح 1771، عيون الأثر: 1 / 172، البداية والنهاية. 3 / 154 :

الصفحة 136

طبقات ابن سعد (106/1) طبعة مصر، مسند أحمد (207، 206/1)، عيون الاثر (1 / 132) (تاريخ ابن كثير (3 / 125).

قال الاميني: نحن لا نروقنا المناقشة في الاسانيد لمكان سفيان الثوري وما مر فيه (ص 4) من أنه كان يدلّس عن الضعفاء ويكتب عن الكذابين. ولا لمكان عبدالملك بن عمير اللخمي الكوفي الذي طال عمره وساء حفته، قال أبو حاتم: (1) ليس بحافظ تغير حفته، وقال أحمد: (2) ضعيف، وقال ابن معين (3) مخلم، وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه، وذكر الكوسج عن أحمد أنه ضعفه جدا. (4)

ولا لمكان عبد العزيز الدراوردي، قال أحمد بن حنبل: اذا حدث من حفته يهم ليس هو بشيء، واذا حدث من كتابه فنعم، واذا حدث جاء ببواطيل، وقال أبو حاتم (5) لا يحتج به، وقال أبو زرعة: سيئ الحفظ. (6)

كما أنا لا نناقش بتضارب متون الرواية بأن قوله: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، يعطي أن الضحضاح مؤجل له الى يوم القيامة بنحو من الرجاء المدلول عليه لقوله: لعله. وان قوله: وجدته في غمرات النار فأخرجته الى ضحضاح. هو واضح في تعجيل الضحضاح له وثبوت الشفاعة قبل صدور الكلام.

لكن لنا هاهنا كلمة واحدة وهي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أناط شفاعته لابي طالب عند وفاته بالشهادة بكلمة الاخلاص بقوله صلى الله عليه وآله وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة

(1) الجرح والتعديل: 5 / 361 رقم 1700.

(2) العلل ومعرفة الرجال: 1 / 249 رقم 339.

(3) التاريخ: 2 / 373.

(4) ميزان الاعتدال: 2 / 151 (2 / 660 رقم 5235). (المؤلف).

(5) الجرح والتعديل: 5 / 395 رقم 1833.

(6) ميزان الاعتدال: 2 / 128 (2 / 633 رقم 5125). (المؤلف).

الصفحة 137

استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة (1) كما أنه صلى الله عليه وآله وسلم أناطها بها في مطلق الشفاعة، وجاء ذلك في أخبار كثيرة جمع جملة منها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (150 / 4) (2) - 158 (منها في حديث عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: قيل لي: «سل فان كل نبي قد سأل فأخرت مسألتني الى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا اله الا الله» فقال: رواه أحمد (3) بإسناد صحيح.

ومنها: عن أبي ذر الغفاري مرفوعاً في حديث: «أعطيت الشفاعة وهي نائلة من أمتي من لا يشرك بالله شيئاً»: فقال: رواه البزار وإسناده جيد الا أن فيه انقطاعاً.

ومنها: عن عوف بن مالك الأشجعي في حديث: «ان شفاعتي لكل مسلم» فقال: رواه الطبراني (4) بإسنادي أحدها جيد، وابن حبان في صحيحه (5) وفي لفظه: «الشفاعة لمن مات لا يشرك بالله شيئاً.»

ومنها: عن أنس في حديث: أوحى الله الى جبريل عليه السلام أن اذهب الى محمد فقل له: ارفع رأسك سل تعم وأشفع تشفع - الى قوله: أدخل من أمتك من خلق الله من شهد أن لا اله الا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات على ذلك.

فقال المنذري (6) رواه أحمد (7) ورواته محتج بهم في الصحيح .

(1) مستدرک الحاكم: ٢ / ٣٢٦ ح ٣٢٩١، وكذا في تلخيصه) صححه هو والذهبي في التلخيص، تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٢٠، المواهب اللدنية: ١ / ٧١ (١ / ٢٦٢)، كشف الغمة للشعراني: ٢ / ١٤٤، كنز العمال: ٧ / ١٢٨ (١٤ / ٣٧ ح ٣٧٨٧٤)، شرح المواهب للزرقاني). 1 / 291: المؤلف.

(2) الترغيب والترهيب: ٤ / ٤٣٢ - ٤٣٧ ح ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٨.

(3) مسند أحمد: ٢ / ٤٤٤ ح ٧٠٢٨.

(4) المعجم الكبير: ١٨ / ٥٩ ح ١٠٧.

(5) الإحسان في تقريب صحيحي ابن حبان: ١٤ / ٣٧٦ ح ٦٤٦٣.

(6) الترغيب والترهيب: ٤ / ٤٣٦ ح ٠٩٦.

(7) مسند أحمد: ٣ / ٥٦١ ح ١١٧٤٣.

الصفحة ١٣٨

ومنها: عن أبي هريرة مرفوعاً في حديث: «شفاعتي لمن شهد أن لا اله الا الله مخلصاً، وأن محمداً رسول الله، يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه». رواه أحمد (1) وابن حبان في صحيحه (2).

ومنها: ما مر في (ص ١٣) من طريق أبي هريرة وابن عباس من أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا ربه واستأذنه أن يستغفر لأمه ويأذن له في شفاعتها يوم القيامة فأبى أن يأذن.

وقال السهيلي في الروض الانف: (1 / 113) (3) وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: أستأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، وأستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي. وفي مسند البزار من حديث بريدة أنه صلى الله عليه وآله وسلم حين أراد أن يستغفر لأمه ضرب جبريل عليه السلام عفي صدره وقال له: لا تستغفر لمن كان مشركاً، فرجع وهو حزين (4).

فالمفني في صورة انتفاء الشهادة جنس الشفاعة بمعنى عدمها كلية لعدم أهلية الكافر لها حتى في بعض مراتب العذاب، فالشفاعة للتخفيف في العذاب من مراتبها المنفية، كما أنها نفيت كذلك في كتاب الله العزيز بقوله تعالى:

(والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور (فاطر): ٣٦.

ويقوله تعالى: وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون (النحل: ٥٨). ويقوله تعالى: خالدین فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (البقرة: ١٦٢، آل عمران: ٨٨).

(1) مسند أحمد: ٣ / ٣٢٣ ح ١٠٣٣٥.

(2) الإحسان في تقريب ابن حبان: ١٤ / ٣٨٤ ح ٦٤٦٦.

(3) الروض الأنف: ٢ / ١٨٥.

(4) نحن لا نقيم لمثل هذه الرواية وزنا ولا كرامة، غير أن خضوع القوم لها يلجئنا إلى الحجاج بها. (المؤلف).

الصفحة ١٣٩

ويقوله تعالى: وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال (غافر: ٤٩، ٥٠).

ويقوله تعالى: أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون (البقرة: ٨٦).

ويقوله تعالى: وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون (الانعام: ٧٠).

ويقوله تعالى: كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين نما سلككم في سقر (إلى قوله تعالى): فما تنفعهم شفاعة الشافعين. (المدثر: ٣٨ - ٤٨).

ويقوله تعالى: وأنذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (غافر): ١٨.

ويقوله تعالى: ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا (مريم): ٨٦، ٨٧.

الاستثناء في الآية الشريفة منقطع، والعهد: شهادة أن لا اله الا الله والقيام بحقها. أي لا يشفع الا للمؤمن.

راجع (1) تفسير القرطبي (١١ / ١٥٤) تفسير البيضاوي (٢ / ٤٨) تفسير ابن كثير (٣ / ١٣٨) تفسير الخازن (٣ / ٢٤٣).

(1) الجامع لأحكام القرآن: ١١ / ١٠٢ - ١٠٣، تفسير البيضاوي: ٢ / ٤٠، تفسير الخازن. 3 / 232 :

الصفحة ١٤٠

فرواية الضحضاح على تقدير أن أبا طالب عليه السلام مات مشركا - العياذ بالله وما فيها من الشفاعة لتخفيف العذاب عنه بجعله في الضحضاح منافية لكل ما ذكرناه من الآيات والاحاديث، فحديث يخالف الكتاب والسنة

الثابتة يضرب به عرض الحائط، وقد جاء في الصحيح مرفوعاً: «تكثر لكم الاحاديث من بعدي فاذا روي لكم حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه فردوه. (2) (1)»

ولا يغرنك اخراج البخاري لها، فان كتابه المعبر عنه بالصحيح هو علبة السفاسف وعبية السقطات، وسنوقفك على جليلة الحال في البحث عنه ان شاء الله تعالى.

نختم البحث هاهنا عن ايمان سيدنا أبي طالب - سلام الله عليه بقصيدة شيخ الفقه والفلسفة والاخلاق شيخنا الاكبر آية الله الشيخ محمد الحسين الاصبهاني النجفي (3) قال:

نور الهدى في قلب عم المصطفى * في غاية الظهور في عين الخفا
في سره حقيقة الايمان * سر تعالى شأنه عن شان
ايمانه يمثل الواجب في * مقام غيب الذات والكنز الخفي
ايمانه المكنون سام اسمه * الا المطهرون لا يمسه
ايمانه بالغيب غيب ذاته * له التجلي التام في آياته
آياته عند أولي الابصار * أجلى من الشمس ضحى النهار

(1) أخرجه البخاري في صحيحه. (المؤلف).

(2) سنن الدارقطني: ٤ / ٢٠٨ - ٢٠٩ ح ١٧ - ٢٠، المعجم الكبير للطبراني: ٢ / ٩٧ ح 1429، مجمع الزوائد: ١ / ١٧٠، كنز العمال: ١ م ١٧٩ و ١٩٦ ح ٩٠٧ و ٩٩٢ - ٩٩٤ بألفاظ مختلفة.

(3) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر تأني ترجمته إن شاء الله تعالى). المؤلف.

الصفحة ١٤١

وهو كفيل خاتم النبوه * وعنه قد حامى بكل قوه
ناصره الوحيد في زمانه * وركنه الشديد في أوانه
عميد أهله زعيم أسرته * وكهفه الحصين يوم عسرت
حجابه العزيز عن أعدائه * وحرزه الحرير في ضرائه
فما أجل شرفاً وجاها * من حرز ياسين وكهف طه
قام بنصرة النبي السامي * حتى استوت قواعد الاسلام
جاهد عنه أعظم الجهاد * حتى علا أمر النبي الهادي
حماه عن أذى قریش الكفره * بصولة ذلت لها الجبابره
صابر كل محنة وكرهه * والشعب من تلك الكروب شعبه
أكرم به من ناصر وحامي * وكافل لسيد الانام
كفاه فخراً شرف الكفاله * لصاحب الدعوة والرساله
لسانه البليغ في ثنائه * أمضى من السيف على أعدائه
له من المنظوم والمنثور * ما جعل العالم ملء النور
ينبيء عن ايمانه بقلبه * وأنه على هدى من ربه
وأشرق أم القرى بنوره * وكل نور هو نور طوره
وكيف لا وهو أبو الانوار * ومطلع الشموس والاقمار
مبدأ كل نير وشارق * وكيف وهو مشرق المشارق
بل هو بيضاء سماء المجد * ملك عرشه أبا عن جد
له السمو كابرا عن كابر * فهو تراثه من الاكابر
أزكى فروع دوحه الخليل * فيا له من شرف أصيل
بل شرف الاشراف من عدنان * ملاذها في نوب الزمان
له من السمو ما يسمو على * ذرى الصراح والسموات العلى
وكيف لا وهو كفيل المصطفى * أبو الميامين الهداة الخلفا

ووالد الوصي والطيار * وهو لعمرى منتهى الفخار
 بضوئه أضاءت البطحاء * لا بل به أضاءت السماء
 والنير الاعظم في سمائه * مثل السها في النور من سيمائه
 كيف ومن غرته تجلى * لاهله نور العلي الاعلى
 ساد الورى بمكة المكرمه * فحاز بالسؤدد كل مكرمه
 بل هو فخر البلد الحرام * بل شرف المشاعر العظام
 وقبلة الامال والاماني * بل مستجار كعبة الايمان
 وفي حمى سؤدده وهيبته * تم لداع الحق أمر دعوته
 ما تمت الدعوة للمختار * لولاه فهو أصل دين الباري
 كيف وظل الله في الانام * في ظلّه دعا الى الاسلام
 وانتشر الاسلام في حماه * مكرمة ما نالها سواه
 رايته علت بعالي همته * كفاه هذا في علو رتبته
 مفاخر يعلو بها الفخار * مآثر تحلو بها الاثار
 ذاك أبو طالب المنعوت * من قصرت عن شأنه النعوت
 يجل عن أي مديح قدره * لكنه يحيي القلوب ذكره
 القصيدة

ومن قصيدة للعلامة الحجة شيخنا الشيخ عبد الحسين صادق العاملي قدس سره قوله:

لولاه ما شد أزر المسلمين ولا * عين الحنيفة سالت في مجاريها
 أوى وحامى وسأوى قيد طاقته * عن خير حاضرها طرا وبأديها
 ما كان ذاك الحفاظ المرأة أر * حام وضرب عروق فار غاليتها (1)

(1) أطيّط الإبل: حنينها .

بل للاله كما فاهت روائعه الـ * عصماء في كل شطر من قوافيها
 ضاقت بما رحبت أم القرى برسو * ل الله من بعده واسود ضاحيها
 فانصاع يدعو له بالخير مبهلا * بدعوة ليس بالمجبوبه داعيها
 لو لم تكن نفس عم المصطفى طهرت * ما فاه فوه بما فيه بنجيها
 عاما قضى عمه فيه وزوجته * قضاه بالحزن بيكيه ويبيكيها
 أعظم بايمان مبكي المصطفى سنة * أيامها البيض أدجى من لياليها
 من صلبه انبثت الانوار قاطبة * فالمرتضى بدؤها والذخر تاليها

هذا أبو طالب شيخ الاباطح وهذه نبذة من آيات ايمانه الخالص (ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله (1))
 (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماننا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) (2) (والذين
 جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا
 انك رؤوف رحيم. (3))

(1) الحديد: ٢٧ .

(2) المدثر: ٣١ .

(3) الحشر: ١٠ .
